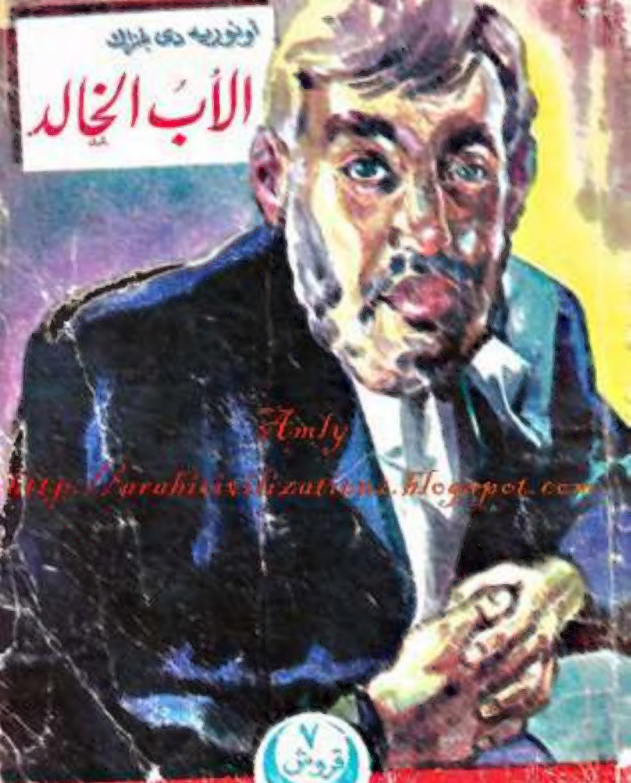


اوبوريه دي بيزيك

الأب الخالد



Amby

<http://arabcivilizations.blogspot.com>



رواية العصر الحديث

رواية الملال

رواية الهلال

REWAYAT AL-HILAL

تصدر عن (دار الهلال) شركة مساهمة مصرية
رئيسا تحريرها : اميل زيدان وشكري زيدان
مدير التحرير : طاهر الطنحاني

العدد ٤٨ * ديسمبر ١٩٥٢ * ربيع الأول ١٣٧٢

No. 48 * December 1952

بيانات ادارية

من العدد في مصر والسودان ٧٠ مليما - في الاقطار
العربية عن الكميات المرسلة بالعملة : في سوريا ٩٠
قرشا سوريا - في لبنان ٩٠ قرشا لبنانيا -
في الاردن ٩٠ فلسا - في العراق ٩٠ فلسا

قيمة الاشتراك عن سنة (١٢ عددا) : في القطر المصري
والسودان ٧٠ قرشا - في سوريا ولبنان ٩٠٠ قرش
سوري او لبناني - في المملكة العربية السعودية والعراق
والاردن ٩٠ قرشا صاعا - في الامريكتين ٤ ١/٣ دولار
- في سائر انحاء العالم ١٢٢ قرشا صاعا او ٢٥ شلن

طريقة الدفع

في مصر والسودان : نقدا او بوجوب اذونات او حوالات
بريدية او شيكات - في خارج القطر المصري : بوجوب
حوالة مصرفية على احد بنوك القاهرة او حوالة نقدية
(Money Order) او الى احد وكلائنا اذا كان هناك وكيل .
ولا يمكن قبول اذونات البريد او العملة الأجنبية

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك - القاهرة
الاشتراكات : روايات الهلال - بوسطة مصر العمومية - مصر
التلفيق : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاعلانات : بمخالف بسانها قسم الاعلانات بدار الهلال

كلمة التحرير

كتب بلاك هذه الرواية وهو في ربيع الحياه ، وادع الشباب ، فقد كان في
الحامسة والثلاثين من عمره ، وقد درس الناس ، وعرف الطبائع البشريه الأصليه ،
فهو يقدم فيها نموذجاً بشرياً من نوع أصيل ، هو الأب جوريو الذي خلق أبا وكى ،
وكانت أبوته هي كل شيء ، بل هي الأبوة الخالدة التي لا تعرف غير الحنان الجارف ،
والشعبيه الصادقة التي ملئت على كل شيء وسلبته كل شيء ، ولم تعرف في الدنيا شيئاً
اسمه حب الذات أو اسمه الحق أو المنطق أو الأخلاق ، مادام الأب يهدف إلى
سعادة أولاده

ولقد صور بلاك في رواياته الحياه الانسانيه وما فيها من مفارقات سماها هو
« الكوميديا الانسانيه » ، وهي في الواقع أحفل بالدموع منها بالابتسام ، وادعى
إلى احتقار المجتمع الحافل بالمآسى . ولهذا كان الهدف الأول من هذه الرواية هو النقد
الاجتماعي ، وتصوير النفس الانسانيه ، بما فيها من فضائل وعاهس ، فهذا الأب
الفريد في بر الأبوة يقابله عقوق البنوة العجيب ، وللي جوار ذلك شخصوس تمثل النفاق ،
والطمع والحناع والغشوه .. والكاتب المبدع هو الذي يخلق نماذج بشريه ، كما طالعها
الانسان عرف فيها البصر ، وعرف الطبيعة البشريه ذات العجائب والمفارقات

ولهذا كانت رواية « الأب الخالد » من الروايات القذيه التي ترتفع فوق المؤلف
في الصور الأدبيه ، والانتاج القصصى المجيد فقد جرى بلاك في إبداع النماذج البشريه
مع دستورفكي العظم أعظم المبدعين في هذا الميدان ، وكلاما ارتفع في الإبداع الى
ما فوق الزمان والمكان



أما الروايه التاليه ، فهي « مغامرات مستر بيكويك » ، لفصص الأشهر شارل
ديكنز ، وتصدر في ١٥ يناير القادم . وهي الروايه للقره هذا العام على طلبه شهادة
التوجيهيه بالمدارس المصريه ، وقد ترجمناها ترجمه واثقه . وتمتاز هذه الروايه بمجال
خيالها ، وحيويتها المرافقه ، وروحها الطريقه الساحكه . وهو يعرض فيها صوراً ساخرة
من أولئك المترفين الأذعياء الذين حرمتهم الطبيعة من المواهب الممتازه بقدر ما أغدقت
عليهم من غرور . ولئن كان ديكنز خليقاً بالفراغه في كل زمان ، فهو بها أخلق في
وقتنا هذا ، وقد نهضنا نهضة مباركه للفضاء على السخافات وتصحيح الأوضاع والانتصار
للعادلة الاجتماعيه

الأب الخالد

تأليف

الكاتب الفرنسي

أونوريه دي بلزاك

Amly

<http://arabiccivilization2.blogspot.com>

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

شخصيات الرواية

الأب جوريو : شيخ في السبعين في زمن هذه الرواية ، تركزت فيه عواطف الأبوة وتجرد من كل ما عداها . من العالمة أترى من الانحسار في السوق السوداء ، وجرد نفسه من ثروته ليهب كلا من بنتيه مليوناً تتزوج به رجلاً من عليبة القوم **دلفين :** ابنة جوريو وبارونة دى نوسينين ، عقيلة رجل من كبار رجال المال والأعمال فظ . اشتركت مع شقيقتها في التبرؤ من أبيها بعد زواجهما لحبهما من سوقته

انستازى : شقيقتها ، كونتس دى رستو ، عقيلة رجل من أعرق نبلاء فرنسا ، كانت أشد على أبيها من أختها

ايجين : شاب من أسرة عريقة أختى عليها الدهر ، فاعتزلت في شعبة حقيرة تحاول ستر اسم « دى رستينيك » وتعقد الأمل على هذا الشاب ايجين الذى يدرس المحفوظ في باريس كي يزيل عثرة الأسرة

مدام فوكير : أرملة عبوز غليظة القلب شجبة ، تدبر خائناً يزل به الأب جوريو والشاب ايجين

فوتران : نزيل آخر الحان ، يتخرج فيه الإقدام بالطبيعية والروح ، وسيكون له مع ايجين شأن وينتهى أمره نهاية تثير الدهشة

فيكونتس دى بوسيان : سيدة عظيمة المسكنة ، تمت بالقرى الى أسرة ايجين ، تقدمه للمجتمع وتهد له النجاح فيه



مؤلف الرواية



كان في العشرين من عمره حيناً أتم دراساته العالية في القانون والآداب سنة ١٨١٩ . وأراد أبواه وأفراد أسرته أن يعمل محامياً لكنه أبى إلا أن يتفرغ للشعر والتأليف ، وغادر قرية « فيلباريس » مقر أسرته فاصداً إلى باريس حيث أدام وحده بقرعة صغيرة متواضعة ، وأخذ يقضى شهوره في الدرس والبحث والعلوف في العاصمة الكبيرة ، ثم يعود لفرفته في المساء فيعد طعامه بنفسه ويمضي ساعات في الكتابة على ضوء شمعة أو مصباح صغير

ولم تلق مسرحيته الأولى « كرومويل »

ما كان يرجو من نجاح ، وكذلك رواياته الشعرية والنثرية الأخرى التي ألفها في ذلك الحين ومن بينها « الفرسان » و « القديس لويس » و « روبير دى تورماندى » و « سيلا » . فاضطر إلى العودة لفرشته إذ جاز عن تدبير أمر معيشته بنفسه بعد أن انقطعت عنه الإعانة المالية التي كان يتلقاها من أبيه . وعيناً حاول هذا أن يفتحه بترك الكتابة والالتحاق بإحدى الوظائف الحكومية أو التجارية ، إذ كان لا يطيق قيود الوظيفة ولم يبدأه اليأس من أن يصير كاتباً عقلياً كما يريد

وفي سنة ١٨٢٢ عاد لباريس مع أسرته التي انتقلت إليها ، وأخرج كثيراً من الروايات بأسماء مستعارة ، ثم عمل في الصحافة وكتب فصولاً مختلفة في الأدب والتميز والمعلوم النفسية والتجارة والصناعة وغيرها . ونشرت له سلسلة من الروايات البوليسية وقصص الغامرات والأفانيس الصغيرة بلغ عددها حوالي الأربعين ، لكنه لم يكن راضياً عن أكثرها

وبقى على ذلك سنتين ، يكتب ليعيش ، ويواصل البحث والدراسات والاطلاع ، وعرف قلبه الحب خلال ذلك غير مرة ، لكنه لم يوفق في حب وبقي بعد أخته « لورا » صديقه ومرشدته الأولى ويكتب إليها بعد أن تزوجت ليثبات ذات نفسه ويشكو إليها ما يجد من فشل في الحب وما يلاها من معاكسات الأقدار وسوء معاملة الناشرين

وأخيراً ، رأى لحاله صديق له من أصحاب المكتبات ، فأخذ على عاتقه نشر مؤلفاته . وهذا

ذلك الحين بدأ « أوبريه دى بلزاك » يصعد سلم الشهرة والجد الأدبي في سرعة فائقة، واشتد الاقبال على مؤلفاته . وقد بلغ عددها حوالى المائة خلال السنين العشر التي عاشها بعد ذلك حتى توفي يوم ٢٠ من أغسطس سنة ١٨٥٠ غير متجاوز إحدى وخمسين سنة

ومنذ سنتين احتفلت فرنسا بمرور ١٠٠ سنة على وفاة بلزاك . وأجمع النقاد الفنيون في العالم كله على أن إنتاجه الفكري الفزير خلاق به أن يسلكه في عداد عباقرة المفكرين والكتاب المبدعين وما زالت المسارح في فرنسا وغيرها تتسابق الى إخراج مسرحياته الشعرية والنثرية ، كما أن كتبه ورواياته العديدة للقبدة ترجمت إلى أكثر اللغات الحية وطبع كل منها عشرات المرات . ويؤخذ من إحصاء رسمي قامت به الحكومة الفرنسية أن مؤلفات بلزاك ظلت تتدأوسع المؤلفات الفرنسية انتشاراً حتى قبيل الحرب العالمية الأخيرة

ومن بين رواياته الرائعة الأخرى : « المهزلة البشرية » و « الحياة العائلية » و « الحياة الباريسية » و « الحياة العسكرية » و « البائع التجول » و « المحرم التبل » و « بدء الحياة »



خان فوكير

مدام فوكير امرأة تجوز تدبير في باريس خاناً متواضعاً منذ أربعين سنة ، في شارع هادى يقع بين الحي اللاتيني وحي سان مارسيل . وفي هذا الخان يقيم أشتات من الخلق ، بين ذكور وإناث ، وشباب وشباب . ولكنه ظل طيلة هذه الأعوام ينتجاة من قالة السوء ، فهو خان طيب السمعة يحترم كل الاحترام معروف بالصيانة والاحتشام ، وإن كان بعيداً بمسئله المادى عن ترف الحياة وأبهة المظهر

هذا من حيث البداء ، أما من حيث الواقع ، فقد سلفت من الأعوام ثلاثون سنة لم يقم بالخان فيها شاب أو شابة يصلح موضوعاً لقالة أو مقالة سوء ، إلا أن تكون أسرته من رقة الحال بحيث لا يتجلب له من المعاش ما يربأ به عن هذا الخان الرقيق الحال والدار التي يشغلها الخان محلوكة لمدام فوكير ، وتقوم في نهاية شارع « القديسة جنيفيف الجديدة » حيث يهبط مستواه ليلتقي بشارع آخر هبوطاً مغايراً يعمل صعود الخيل وهبوطها أمراً نادراً . الأمر الذى يضيق على البغمة هدوءاً شاملاً قابضاً للصدر ، فلو عبر بها امرؤ حلى القلب اتفاقاً لوجد لهذه الكتابة سدى في نفسه كذلك الصدى اللازم لصدور أهلها المقيمين بها على الدوام . فتناهبك بمكان يعد فيه مرور عربة حدثاً يذكر ويروى ، وتبدو فيه الجدران السكالحة مرعبة الوجه كأنها السجون . فهذا الخى الصغير الحامل لا ينازع في باريس سوى آخر في صفات الكتابة واللعل وركود الحياة

ويقوم بناء الخان بأدواره الثلاثة وراء حديقة صغيرة تفصله عن الطريق العام . وتوافقه لها مصاريع خشبية ذات نقوب كلاليا النحل فيها خلا الطابق الأرضى فتوافقه مزودة بنضبان متقاطعة من الحديد . وخلف البناء فناء صغير ترتع فيه في ألقة عجيبة صنوف الخنازير والدجاج والأرانب . وفي مؤخرته عزن لحشب الحريق

والطابق الأرضى يشكون من مدخل تضيق نافذتان تطلان على الشارع يؤدي الى قاعة المائدة التي يفصلها عن المطبخ تجويف السلم الخشبي . والواقع أن المدخل يقوم مقام قاعة الجلوس وهو مكان لا يضارعه في كآبته مكان آخر من حيث الشكل والضوء والأثاث أما قاعة المائدة فأثاثها عتيق وأدواتها ناصلة الغلاء وخزنها من أخس الأنواع . ولو أننا تحررنا الدقة في بيان مقدار بل إلى الأثاث لملأنا هذا الوصف على إطالة لا يتيسر التخصص منها الى لباب قصتنا

وفوق الدور الثالث حجرة النسيب وخراتان صغيرتان هما غدا الحادم « كريستوف »
والطباخة « سيليا »

فكان مجموع تزلأ الفندق المقيمين فيه سبعة ، يضاف اليهم « منتبون » من الخارج يتناولون وجبة العشاء فقط وعندهم عشرة . لهذا تحفل قاعة الطعام في المساء بسدد كبير يتجاوزون أطراف الحديث فتكون لأصواتهم جاية في تلك القاعة الممتعة . أما في الصباح فلا يتجاوز عدد الطامعين ثمانية بما فيهم ربة الخان مدام فوكير فتبدو القاعة كأنها حجرة طعام عائلية تقوم فيها مدام فوكير بدور الأم . فالنزلاء يجلسون الى المائدة بملايس المنزل وفي أرجاءهم النعال الخفيفة ، ويتبادلون التعليلات وأطراف الحديث بصورة ودية لا كلفة فيها

ولسكن أزياء هؤلاء النزلاء لا تتأخر بينها وبين الخان وأتانه الزرى . فالرجال عليهم حال الريدنجوت التي خف لونها ورت أديمها حتى ما تدرى لرتبتها لوأ ميناء أو صنفا من أصناف التنسيج معروفا بذاته على وجه التعديد . وأحذية الخروج ليست أحسن حالا من الخلل فهي بحالة ليس لها مثيل في غير ذلك المحل الفقير من باريس إلا مطروحة على قارعة الطريق

وثياب النساء ليست خيراً من ثياب الرجال بكثير ، فهي تشكو كثرة ما قلبتها الأيدي لتبدل صورتها أو إعادة صبغها بعد أن حال لونها مرات ومرات

ولذا كانت هذه الثياب ، فاكنت الأجساد التي تشكلها بها أحسن حالا : فهي أجساد مروعة ترك عليها صراع الزمن آثاره واضحة من خزال أو تنضج . فكل واحد من هؤلاء يمكنه يشخصه مأساة حية بلغت ذروتها وتعت فصولها ! وهي في طريقها الى القوة والتمام . مأسا ليست كذلك التي تعرض في ملاعب التزلأ ، فإن سوء طالعها حرما لثة الصناعة وتزويج التأليف المحبوك والخراج للنسق . إنها مأسا كئيبة تعيش حائرة الرأس لا يلفت اليها أحد

ان نزلاء خان فوكير هم أبقى الناس وأولام بالحياة في ذلك الخان لأنهم مثله من غايات الحياة فن هم هؤلاء النزلاء على التحقيق ؟



وتأخذ هذه القاعة أهبها - الضدية طبعاً - حين تؤذن الساعة السابعة صباحاً بظهور « هر » مدام فوكير فافزأ هنا وهناك يلحق بلسانه الابن من الفجان المد لهذا التزلأ أو ذاك . ثم لا تلبث الأمومة فوكير أن تشرق بطلعتها وتلح رأسها طاقبتها المصنوعة من النل ، تلك الطائفة التي تملو طائفة أخرى ليست من النل ولكن من الشعر المستعار ، وهي تحضر في القاعة بحجرة خفها المتبق ، ويتقدمها أنت كغمار البقاء يتوسل وجهها أكل عليه الدهر ولكن لا زال سيمنا متناسبا في ذلك مع جسمها المكتنر ، وشخصها على الجلبة يحكي في صورة حية هذه القاعة التي يتم كل ما فيها على البلى والأفول . فلا ندو الخى اذا قلنا إن مدام فوكير تمثل الخان والخان يمثلها أسدق التمثيل ، فقميصها الذي يتدل الى ماحت ثوبها ، وثوبها الذي نال منه القدم بشكل واضح حتى تغير لونه ، صورة صادقة تلخص للناظر قاعة الجلوس وقاعة المائدة بما فيها من تنافر ويقال مع هذا - والمهدة في هذا القول على النزلاء - إنها امرأة طيبة السريرة رقيقة القلب ، ولهاهم يرثون لها ويظنون بها الاملاق لأنهم لا يسمعون منها إلا شكوى القاعة فيظنون حالها كحالهم

وما من أحد يدري من كان زوجها السيد فوكير . فهي لا تتحدث أبداً عن المرحوم . وأما تتكئ إذا شئت كيف أضاع ثروته بأن تقول إنه فقدوها في نوازل الأيام . ثم تبقى بوصف قسوته عليها قسوة جففت دموعها ولم تترك لها فضلة من الشعور بالألم حتى تنأف من عبثها التكد الذي لا مورد له إلا هذا الخان الكثير الثقة القليل للوارد

ومنى سمعت الحادم السمين « ساني » التي تقوم بأود المطبخ وقع أقدام سيدتها ، سارعت الى تقديم الأطباق للنزلاء . وعندهم وقت حوادث هذه القصة سنة ١٨١٩ سبعة وكان الطابق الأول يضم جناحين تشغل مدام فوكير أولهما حفلا من أسباب الراحة وتشغل الآخر مدام كوتير وربيبتها الشابة فيكتورين تايغير وتدفعان معا ١٨٠٠ فرنك سنويا أما الطابق الثاني فيشغله مؤلف شيخ يدعى بولريه وعملاق في الأربعين يصبغ سسوالفه ويرزع نفسه تاجراً واسمه فورتان

أما الطابق الثالث ففيه أربع حجرات مؤجرة منها اثنتان ، وتشغل إحداها عائس هي آكاسة ميشوون ، وتشغل الأخرى شيخ طيب القلب ينادى باسم « الأب جوريو » ! والمجرتان الأخريان تؤجران للمارتين الذين لا يستعينون دفع أكثر من حقة وأربعين فرنكا في الشهر نظير النوم والطعام . ويشغل إحدى هاتين الغرفتين في الوقت الحاضر شاب من أبناء الريف من قرية من أعمال مقاطعة انجولم آق الى باريس لدراسة القانون وهو سليل أسرة نبيلة أختى عليها الدهر ولكنها تتجمل ألوانا فاسية من الحرمان في سبيل توفير مائة فرنك شهريا تدفعها الى يد هذا الشاب ليدير بها أمر مقامه وتعاليمه وغذائه وكسائه . وذلكم هو « الجين دى رستيناك »

نزلاء الخان

بمحل التحويل... ولا يمكن أن يتصور الإنسان لهذا الخلق عملاً اليق به من وظيفة ووزارة العدل يختص فيها بحسابات آلات الأعداد والعاملين عليها وما يلزم لها من حبال وشعذ وما إلى ذلك من أقمعة سود وصال تجمع فيها الرؤوس المفطوعة . أم لعله يعمل جانياً للمعكوس على باب للذخ العام للشية بباريس...

وهما يمكن من أمر مهنته الحقيقية فالرجل يبدو لأول وهلة بقلاً استندت قواه كثرة العمل في خدمة الدولة . فهو نهاية من غايات الحياة الاجتماعية . انه عامل من الذين يسخرون كخشب القط للاستخراج السكتاه من النار ، ولكنهم يعيشون وغوتون وهم يتهلون بحرد أسماء أولئك الذين يحرقون هم أساليبهم لكي يخرجوا لهم السكتاه . وباريس العظيمة تحفل بهؤلاء من دون أن تدري عن آلامهم شيئاً . ولا غرو ، فباريس بحر خضم ليس لمدة آخر ولا لغوره قرار . وفي هذا الهم للتراي تيارات خفية وغلوقات لا حصر لها ، فهما فتشت فيه لاشك واجد جديداً بروك بغاسته أوبجعه وبشاعته: ففيه الآلات ، والأصداف وفيه الأزهار والأخطبوط وفيه الفيران التي لم يعلم بها بشر كما أن فيه حطام آلاف السفائن التي اختصرت لها الأنوار رحلتها إلى مرءاً بعيد

وخان فوكير بما فيه من الآسنة مونوشو والسيد يواريه كهف من كهوف بحر باريس المجهولة يحفل بغلوقات مما تعيش في الأعماق البعيدة ليس لها مثيل في البشاعة وغرابة التكوين



ولكن في هذا الكهف الغائر وبين هذه الغلوقات المنفرة تبرز شخصيتان بينهما وبين سائر نزلاء الخان تباين كبير

وأول هذين ، أو أولهما على الأصح ، هي « فيكتورين تايفار » وإنها لفاتة في مقبل العمر على عجاها ذلك الشجوب الذي يميز به من أساليبهم علة الصدر ، وتفويض من عينيها نظرة حزينة تنبئ عن أمي يكون وهم قميم ، وفي قامتها تلك الرقة المرصبة التي تدل على تكوين ضعيف لا قبل له بمواجهة أنواء الحياة . وهي بهذه الصفات تشارك في الجو العام الذي ترك مطايبه فوق كل ما يتصل بخان فوكير وتزلاته . ولكن ما في وجهها وصوتها من صبا وفي حركاتها من نشاط وحبوبة عصبية كان ينأى بها عن ذلك الجو وغرورها بميزة خاصة بها

ولكن هذا الصبا إذا دقق اللره النظر فيه وجده أدهى إلى الأسى من الشيوخة القانية فقد ذوت أوراها تحت ضربات الجفاف العاطفي والأويوي حتى صارت كالنبتات الذي نفل من حربة إلى تربة فأعوزها الجو الصالح للحياة والنماء . بيد أن التناظر في عينيها الرماديتين التابن تضربان إلى السواد يرى فيهما تلك الرذاعة الناجمة عن ذلك التدنن الشديد وذلك الاذغان الذي يورنه الإيمان من يعتصمون به حين تحز بهم مشكلات الأمور . وقد أفادتني هذه الرقة حتى أفند بدت بالقياس إلى المحيط الذي تعيش فيه كالزهره الجيلة في خربة معلومة بالعفن . ولولا شجنتها الدائم

هذه الآسنة « ميشوتو » التي تقدمت بها السن حتى نالت من تور عينيها ، فهي تجعل فوقهما وفاء من نسج أخضر اللون يحسك برأسها سلك من الحديد ، فلو رآها ملك من ملائكة الرحمة لول منها فراراً ولا مثلاً منها رعباً . أما تحتها ذات الشراريب الطويلة فيخيل اليك أنها تغطي كفتي هيكل عظمي أو مومياء ، بجسمها من النحول وبروز العظام بحيث يبدو للناظر بقايا جثة بشرية عدا عليها اللوث من سنوات . وإنها لحيرة للمقول أن تدرك كنه ذلك السائل الحضي الخني الذي أتى على علامات الأنوثة فيها فليس في جسدها استدارة واحدة من تلك الاستدارات التي تميز بها أجساد النساء ، ولأنه ليبدو أنها كانت يوماً ذات صبا وجال فأين آثار هذا الجمال إذا كان الصبا قد ذبل وزال ؟؟ هل أتى عليه البخل أو الطمع ؟؟ وأي النساء هي ؟؟ هل كانت حياتها قصة حب قوي ؟؟ أو هي لم تعرف الحب ؟؟ وهل كانت تتعیش من الانجذاب بالتياب المستعملة والغايات البالية ، أو هي مومس لم تعد لها على الزمن سوق نافذة ؟؟؟

من يدرى ؟؟ كل الذي تراه العين منها هو نظرتها الباردة الجامدة التي تسرى لها في العروق رعدة ، ومعارف وجهها التي يتوجس الانسان منها فأخذة نكرة عامضة . أما صوتها فله نبرة حادة عالية كنفيق الضفدع في بركة غاش منها الماء . وهي تزعم أنها كانت عمرسة كنيخ ترى أوصى لها بمماش سنوي قدره ألف فرنك ولكن ورتته يماطلونها دائماً ولا تجد في ملاقاتها ما تندفع به عن حقها أمام هؤلاء الأقوياء

وندع الآسنة ميشوتو لننظر في أمر السيد « يواريه » فن هو السيد يواريه ؟ انه ضرب من ضروب الغلوقات الآلية . انه انسان آلى يتحرك كما تتحرك الأشباح ، فقيه هزال الأشباح وصمتهاو كآبتها ، وفوق رأسه قبعة عتيقة وفي يده عصا ملها رأس مكورة من العالج المصغر يقبض عليها بأطراف أصابعه وذبول سترته الطويلة الواسعة تعبت بها الرياح وسافاه المزلزلتان تضغطان في مشية كشية السكران ، فإذا تأملنا صدرها فلينا قيصاً أبيض قدراً فوقه صدراً أبيض يباري القبيص في القذارة وتعلوماً جميعاً عقدة تلتف حول عنق هو أشبه الأشياء ببنى الديك الروي ! أما سرواله فهو ضيق ولكنه رغم ضيقه يبدو مغلوياً على هباء وفضاء ! فن يراه لا يغلظ له أن يتسلم من أي سلالة غريبة هو وأي عمل مرهق أضناه إلى هذا الحد وأي عاطفة مشبوبة أسكرت جسمه حتى صار إلى هذا النحول الذي لو جرت به ريشة رسام كاريكاتير لكان من المبالغة التي تحمل على

تتأهل هذه الناية . ولكنه في الأحوال العادية يرتدى حلة قديمة ويبتلع حذاء يلبس بدنه
وخفف حله



ولم يجر هذا الشاب وتلك الناية يبرز شخص آخر ليس من طراز بقية الزلاء . انه
« فوران » . وهو رجل هائل الجثة في الأربعين من عمره يصبغ سواقفه ويبدو عليه المرح
الشديد والابال على الحياة . وله كفتان عريضتان وسدر واسع وذراعان فيهما عضل كبير
ونتفحيان براحتين كبيرتين يملأ أصابعهما شعر أحمر كثيف . وما يرسم على وجهه الضخم من
غضون مبكرة أنا يدل على خشونة تفهيا عنه معاملة الجثة لائر الناس فهو لطيف العطر خديم
لا يسمع بشيء . قد لا يبادر إلى اصلاحه بيديه فهو على ما يلوح ذو خيرة يصحح الحرف من
الملاحة إلى أقاليم الزيف إلى ادارة الأعمال وشئون الاقتصاد ودقائق القانون وكبار البيوتات
ولوائح السجون ! . وإذا ضاقت بأحد معارفه الأزمان يبادر إلى معونته وكم من مرة أقرض
مدام فوكير وتزلاهما مال على رأس بها . ولكن مامن أحد كان يطلعه حقه أو يتكلم في
سداد الغرض لأن له نظرة غريبة إذا جد الجدل ، فله عينان ثابتتان تنفذان في حيايا الصدور
وتخترقان الحجب وتكتشفان ما يتلوى عليه الناس من مشاعر وأفكار

وكان من عادته أن يخرج بعد الافطار ليعود ساعة العشاء ثم يمتحن طول البهرة ليعود حول
منتصف الليل فيدخل بمفتاح خاص أنحفته به مدام فوكير دون غيره من الزلاء . فهو الوحيد
من بينهم الذي يلبس ممها ويداعبها وينادها بأماه ويمشط خصرها الضخم بذراعه . وكانت
العجوز تظن هذا شيئاً يسيئ إلى أي انسان ولكن فوران دون سواء هو الذي يفكر فيه .
مع أن الواقع أن فوران العملاق وحده هو الذي يستطيع أن يقوم بهذا العمل لطول ذراعيه .
وهو ينفرد بميزة أخرى هي بذله غصة عشر فرنكا كل شهر نظير القهوة وكأس الكونياك
التي يتناولها يوماً بعد العشاء . وفي بعض الأحيان كان يطلق لسانه المنان فيكشف عن
جانب الأوضاع القلوية في الدولة والمجتمع في أسلوب ساخر لاذع ينفي عن حقد لديه دفين على
الدولة وعن سر لديه مكنون يحز في نفسه وإن كان يعطوه ويحرس على إخفائه

ولما كان الجمال والنفوة ما أشد ما يجذب الفئات المرأة ، فلا يجب أن نجد فيكتورين تأخير
تقسم نظراتها المختلة وخواطرها الخفية بين هذا الكهل العملاق وذلك الشاب الرقيق اللبيل .
فهي مشغولة بالثورة والجمال . ولكن لم يكن فيها ما يلفت صاحب القوة أو صاحب الجمال ، مع
أن مفاجأة من مفاجات القدر كفيلا أن تبدل حالها بين عفة وضما فتجعل منها قبيصة ترمو
اليها الأبصار ملطماً في ثرائها العريض . ولكن القاعدة الثابتة ان كل تزل كان لا يبرير قصة
سائر الزلاء تنفث كاملة ، لأنه لا يمه إلا مشاكلك الخاصة ومتاعبه الشخصية

لكانت جملة الملاف . ذلك أن السعادة تضفي على المرأة جلالاً سلبتها إياه مقاييس جسمها وأعمال
خلفتها ، لأن جمال السعادة هو الوضاعة الشاعرية وهالة الأحلام التي تحمل من المرأة شحنة لطيف
بها فراشات القلوب . فلو أن فرحة الرقص في ثوب جبل صبت وجنتها الصفراء بجمرة الحماسة
والسرور ، ولو أن كيوييد أشاء بعمله السحري ومضات الحب في عينها ، لأن لكان في مقدور
فيكتورين تأخير أن تباري ألمع الفتيات وتنازعها نصب السبق في مضار الجمال . ولكن
السكينة تنفث لى أهم مقومات الجمال في المرأة وأهم مزايا حسناتها إلا وهو الثوب اللبيل ،
والحناء الرشيق ، وخطايات الغرام الزردية اللون العطرة الأنفاس

فمن هي ؟ . إن والدها لديه من الأسباب ما يجعله على عدم الاعتراف بها . وهو ثرى واسع
الثراء ، ولكن قلبه مثل ذهب برودة وجوده . وهو يغمض شقيقها بالرعاية ، ويشاركه ماله ،
وهو مزعج أن يورثه إياه كله أما هي فلا يريد أن يراها ولا أن يسمع عنها ، ولا يخرج لها
من ماله الضخم الا عن خسين فرنكا في الشهر

ولما كانت والدها من قريباً مدام كوتير فقد تنبتا هذه السيدة بعد وفاة والدها كبيرة
القلب بما لفت من عنت زوجها وسوء معاملته . ولكن السيدة الطيبة القلب لا تملك الا
معاشاً ضئيلاً عن زوجها ، فإذا انفلت إلى جوار رحباً فهذا الذي يرعى تلك الفتاة الى نصير
لها في هذا العالم الذي يتأصبأ المدا ؟

والسيدة الرحيمة تصحب الفتاة إلى الكنيسة صباح كل أحد ، وتأخذها الى كرسى الاعتراف
مرة كل أسبوعين ، لكي تظل على اتصال دائم بجميع الزماء المتشد من ممارسة ملئوس الدين
وتقوى الله . فالإيمان بالم آخر هو المثل الوحيد لأتوارك الذين خاب أملهم في الحياة الدنيا .
وقد أنفقت هذه الحطة في إضفاء الرقة والرداعة على الصبية اليتيمة ، بحيث لم تذكره والدها برغم
ما أنه في حقا ولا زال لديها أمل في استئانه . فهي تذهب مرة في كل سنة لتلقى ما رصده
لها من مال وتحاول عبثاً أن تقابله لأنه يقفل دونها باب . وليس أخوها خيراً من أبيها . ومع
ذلك فهي تذكرها في صلاتها اليومية وتدعو الله أن يرقق قلبهما من غير إدانة لها أو ملام

ولم تكن مدام كوتير ودمام فوكير تتحرجان في صب الامعات على الرء والأخ ، فان جرهما
كان يبدو للسبدين أنفلع من أي وصف ورد في القاموس ، فإذا سمعتها فيكتورين أبياتهما
بعبارات رفيقة لئنهما في هذا الانزعاج ، فتقع تلك العبارات على السمع كنوح الحمام الذي همما
صدر عن ألم شديد فهو لا يخلو من اللطف والحبة ولا يمكن أن يصدر عن حقد أو بقضاء

هذه فيكتورين تأخير . فمن هو الشخص الآخر الذي يشاركها في الميابة لائر تزلأما لمان؟
انه إيجين دى رستنيك . الفتى الرقيق الأبيض الوجه الأسود الشعر الأزرق البدين . وإن
سيماه وأدباب سلوكه لئنم يوضح عن أصل عريق وتربية حسنة . وهو وإن اجتهد في الاقتصاد
في نفقة ملابسه إلا أنه يحسن أن يبدو في برزة حسنة وأناقة لأبأس بها إذا حضرت المناسبة التي

مجموعة من التفلين بأعباء الحياة ونوازلهما ، لم يكن فيهم شخص قرر العزيم بوجوده في ذلك الحان إلا صاحبه مدام فوكير ، فهي ترى فيه ملكيتها الخاصة ، ولا تبصر فيه عبداً ، كأنها الأم التي ترى وليدها أوسم خلق الله وإن كان اتصفاه بالجلال ضرباً من ضروب المحال وإن أتمس المنازل وأحفل المجتمعات بالأسمى والشقاء لا تعدم فرداً منها يكون أضحوكة لسائر الجماعة . ولم يكن خان فوكير بالشاذ في هذه القاعدة . وكان أضحوكة المستمرة المستمرة هو ذلك الشيخ الهادي . الثاني الذي ألب الجميع أن يدعوهم . الأب جوروي .

شيخ في السبعين

والأب جوروي شيخ ناهز التسعة والستين من عمره ، اعتكف في خان فوكير منذ سبع سنين أي منذ سنة ١٨٩٣ بعد أن صنى أعماله واعتزل التجارة . وقد شغل أول ما شغل ذلك الجناح الذي تشغله الآن مدام كونيير وربيتها فيكتورين ، وكان يدفع صاحبة الحان مائة فرنك عن كل شهر ، فقد كان يبدو في مظهر الرجل الذي لا يدقق فيما يتلفه من مال لأنه تعود البسط في النفقة ولأن راحته الشخصية أعز عليه من درهم بدخره أو درهمين . وقد رأت فيه مدام فوكير في ذلك الوقت رجلاً ساذجاً يسهل استغلال طبيته — والطيبة هنا معنى من معاني الغفلة وقد حمل جوروي معه حين نزل بالحان عدداً وفيراً من الملابس النينة من مختلف الأنواع تظهره بمظهر الرجل الميسور الذي لا يرضى على نفسه بشيء من متاع الحياة ومتاعها متى أغلق خانوته . وقد راق مدام فوكير في هذا الجهاز الفاخر ثمانية عشر قبصاً من الحرير الرقيق ترتبها حين يلبسها تلك الدبابيس المناسبة للكبرة المحجم . وكان الأب جوروي في ذلك العهد لا يابس الصدر الأبيض إلا مرة واحدة يبدو به عتلاً تتراقص فوقه سلسلة غائقة من الذهب فوق بطن مكورة تتقدمه في مهابة وهو ينقل خطوه بخيلاء . وفي جيب الصدر علية نشوق من الذهب الخالص يداخلها خصلة من الشعر تقي بمغامرات عاطفية تعلق بمظهره الوقور ، فإذا أملت مدام فوكير في مواجهته إلى أنه رجل ذو صوات ابتم ابتسامه مأكرة ثم عن شعوره بالزهو لهذا الاطراء الذي يرضى كبرياه.

أما صواتات جناحه فقد حلفت بتلك التعف الفضية النادرة التي كانت يوماً زينة بيته الكبير قبل أن تموت زوجته وتزوج بنتاه وبصبح البيت غير ذي موضوع . وهي أوان عتيبة كانت صاحبة الحان ترمقها بعينين تقدمان بالشر حين تساعد على ترتيبها وتنظيفها وكان يعتز بها لأنها التذكار الأخير لسعادته المنزلية الفائرة . وقد احتضن ذات يوم أمامها طبقاً ووعاء له غطاء تعلوه حمامتان تبادلان الليلات ، صنعا من الفضة المذهبة وقال لها بتأثر بالغ :

— هذه هي الهدية الأولى التي قدمتها لي زوجتي في عيد زواجنا الأول . غفر الله لها ، فإني كان أطيب قلبها ، وكمن أشياء حرمت نفسها منها لكي تفسر ثمنها ، وفي بعد في عهد عذرتها . فلا تعجبني يا سيدتي إذا قلت لك إنني أفضل أن أحفر الأرض بأظفاري التماساً للفقوت على أن أفرط في هذه الهدية . وإني لأحمد الله أن أتاح لي احتساء فهو كل صباح في هذا الوعاء الأنيق الذي يصلى بالملأى السعيد



وكان جوروي إذ ذاك بادى الصحة عتین التركيب رغم تقدمه فى السن ، يقبل على الطعام ويكثر من التدخين بطريقة تباعد بينه وبين الكزازة والتغير وتريد صفة الإسمر التصادف إلى حتى باتت مدام فوكير تنقلب على فراش السهد طالمة أن تخلع عنها اسم فوكير لتولد وهى فى سنها هذه باسم جوروي

— آه ما أحل أن أتزوج وأبيع الحان وأغدو سيدة معتبرة فى المي ، أنسقط أخبار العوزين ، وأسدى يد المونة إلى المحتاجين ، وأقيم المكاتب الأنيقة يوم الأحد ، وأذهب إلى ملعب التتيل على هوى فى مقصورة خاصة دون أن أنظر التذاكر المجانية التي يجود بها أحياناً نزلاء الحان

ولم يكن أحد يعلم أنها تدخر أربعين ألف فرنك جمعتها درهماً بدرهماً وقلناً بقلناً ولكنها لا تنقل هذه المزية حين تعلم بهذا الزواج ، فتري نفسها أهلاً له بفضل هذه البائنة الضعفة ، ثم تتحسس راضية مواضع جسمها المكشتر كأنها تستوثق من آيات الاطراء التي تزفها اليها مطابخها البدينة « سيات »

وقد ظلت مدام فوكير طيلة الأشهر الثلاثة الأولى تستخدم الحلاق الذي يأتي خصيصاً للاب جوروي فى تزيين شعرها ، بل اجتمعت فى رفع مستوى تزيانها مرددة على الدوام أن خانها مؤسسة محترمة لا يتركها إلا الناس المعنرون وأفاضل القوم من الجسنيين . فإذا تقدم اليها أحد برغبة الأقامة عندها بدأت بالتدليل على قبيحة منزلها بأن السيد جوروي المحترم وهو من كبار التجار ورجال الأعمال السابقين قد فصله بغيرته الواسعة على جميع ما عاده من خانات عاصمة الثور

وقد أجدى هذا التهج الجديد عليها فزلت عندها الكونتس دى لامبوسيل ، وهى عقيلة فى السادسة والثلاثين من عمرها جاءت إلى باريس لانعام تسوية الماش للسنتج لها بصفتها أرملة جنرال مات فى « ميادين » القتال . وقد قدرت مدام فوكير هذا الصبر الذى أتبع لها حتى قدره فبذلت من جنبها تكاليف مائدة محترمة وخدمة ممتازة ستة أشهر طوال ليكون المكان على قدر المقام ، متفانية فى إظهار عرفتها لجبل تلك السيدة العالية القدر التي تتلفظ فتدعوها « صديقي العزيزة » متفانية فى نفثات فقدمتها إلى صديقتين جاءتا لزيارتها إحداهما بارونة والأخرى زوجة كولوئل . فلما ارتفعت الكلفة أقضت مدام فوكير يمكنون رغبتها إلى الكونتس ، فقالت لها الكونتس :

— لأنه رجل عزم وفى صحة جيدة ولا زالت فيه بقية صالحة تقربها المرأة عينا . ولكنى أرى أن تغيرى من زينتك لى تنكونى أرعى نظره وأندى على قلبه

وبعد أخذ ورد صحبت الكونتس مدام فوكير فانفتحت لها قبعة ذات ريش ووشاحاً جيلاً وثوباً من آخر ملراز . فلما أخذت مدام فوكير زخرفها وازينت راقت فى عين نفسها وتوجهت

إلى الكونتس ترجوها أن تتوسط بينهما وبين جوروي ، فقبلت عن طيب خاطر وخلصت الكونتس بجوروي خلوة هدف منها إلى كسبها لنفسها وأغوائه لحسابها . فلما رأت منه صدوداً جرح كبرياءها خرجت على مدام فوكير بوجه يحمل أمارات السخط والتأنف ! — لا جدوى من مثل هذا الرجل فهو نفور شحيح له على أمواله عىل ، وفيه فساد ، وتطلع ، ولن تأتيك منه إلا الهدوم والمطابخ

ويبدو أن ما جرى بين جوروي والكونتس كان من المرح بحيث لم تعلق البقاء بعد ذلك معه تحت سقف واحد ، ففادرت الحان فى اليوم التالى ، ولكنها نسيبت قبل أن تفادره أن تدفع أجر إقامتها ستة أشهر ، وأرسلت وراءها ملابس عتيقة لا تريد قبمتها على خسة فركنتها ! وشكت مدام فوكير وبكت ولكنها عشتا بحيث تمرر بدهشها فى طول باريس وعرضها على كونتس تحمل هذا الاسم مات عنها زوجها المجلال صريعاً فى « ميادين » الشرف ...

ولم تكن مدام فوكير سوى امرأة ضيقة الأفق لا تحسن تقصى الأسباب فيما يقع لها من أمور ولا تربط بين الملل والتنازع ، فكل اهتمامها منصب على الحوادث ذاتها دون نظر إلى مصادرها ومسبباتها . ولديها من حب الذات حباً أعشى يتميز به الجهلاء ما يجعلها تحمل الآخرين ووزر ما تقع فيه من إخطاء . فغير غريب إذن حين منبت بهذه الحسارة أن تراها لا تعزوها إلى غفلتها وقصر نظرها بمواقب الأمور ، بل تحملها على كاهل التاجر المتقاعد الطيب القلب جوروي غفدت عليه فحداً شديداً ولا سيما لأن آسأها فيه قد خابت ، وقد كانت لعمر الحق آمناً كبيراً هونت عليها أن تنفق ما أغنت فى زينتها وأناقة مائدتها ومائدته تلك النفقات التي ذهبت أدراج الرياح . بل لأنها مضت فى حقدتها عليه وكرهتها له شوطاً أبعد مما ذهبت إليه فى حبها السابق الخائب . فحقدتها لم يكن منه فتل حباً بل إغفاق آسأها النفعية . ولأنها امرأة نفعية فقد تبين عليها أن تكتم عواطفها لأن الرجل تزييلها وهى لا تحب أن تتجسس بما تجنيه من ورائه . ولكن سئار النفوس لا تدم أبداً وسيلة للإساءة إلى من يشعرون هم الكيد ، فبدأت بالبلاء التوالى الرفقة التي كانت قد أصابقتها إلى المائدة من أنواع النسيبات . ولكن الأب جوروي كان رجلاً متفتقاً غشوشنا لا يأبه للفتاب فى تعليمه . فحبه من زاد خير زاد طبق من المساء وثنى من اللعيم السلوق وجانب من الحضر . لهذا تعذر على مدام فوكير أن تضايقه من جهة بهانه . فعمدت إلى التنديد به من ورائه والتمائم والتهاشم عليه والأبغواء إلى سائر تزيانها أن يتخذوه موضوعاً لفكاهاتهم وسخرتهم . وقد وجدوا فى هذا ما يسليهم فأقبلوا عليه عن طيب خاطر

وبعد انقضاء العام الأول تغيرت عادات جوروي قليلاً ، فبعد إن كان يتنقذ أو يمتعنى فى الخارج مرتين فى الأسبوع أصبح لا يفعل ذلك إلا مرتين فى الشهر فزادت فرص تحملها لوجوده معها على المائدة فلم تحمل هذا اللعاب على قلة إيراده عن ذى قبل بل خفرت أنه إن أعاد هذا ليكيد لها وبضايها!

حتى إذا انصرم العالم الثاني طلب إليها أن ينقل إقامته إلى القابض الثاني لكي يهرب بأجر إقامته من مائة فرنك إلى خمسة وسبعين لأنه مضطر إلى الإفلال من عاقته ، فطالبته المرأة بأجر العالم مقدماً قبل الرجل هذا الصرط

ومنذ ذلك اليوم تغير اسمها من السيد جوروي إلى الأب جوروي

وكان في مقدور أي انسان يلحظ هذا المربوط في مستوى معيشته ، ولكن الحقيقة لم تكن في مثل هذه السهولة تصبياً ووضوحاً ، فالأب جوروي وجل كتمول لا يسهل استكناه أسرارها . لهذا تضاربت الآراء حول أسباب سوء حاله بعد يسره الأول . فهنا فوتران الصلال الذي جاء إلى الحان في هذه الفترة يزعم أن الأب جوروي يتردد على صفاق القود ويدخل في مضاربات طمعاً في استرداد بعض ما فقدته من الخسائر التي أدت به إلى الإفلاس . وزعم غيره من الزلاء أنه متبلى بدهاء القمار . وزعم ثالث أنه عين من عيون البوليس السري . وتوهم غيرهم أنه يتجمل بقرض المضطربين بربا فحش . وهو على أي فرض من هذه الفروض ليست له في نظام صورة مشرفة ، وإنما هو مجموعة من الرذائل والعار والضمير . ولكنهم كانوا يقبلونه على علانية لانه مسالم وأنه هدف صالح لنكاحهم إذا ضاقت صدورهم بهجوم الحياة

يبد أن أجدر صورة خلفاً لأب جوروي بالتبويه إلى التي توهمها مقدم فوكير . فهو في زعمها - بل في بقيتها - رجل ذو ثروة وقوة ولكنه أبليس ماجن له نزوات تنقسم بالثبؤد . ولم تكن تعوزها الأسباب التي تبني عليها هذا الاعتقاد :

قبل رجل الكونتس بضعة أشهر عما إلى سبع مدام فوكير في بكرة الصباح وهي بعد في فراشها حقيقتوب حريري يجرد أذنيه فوق دوح الحار ووقع خطي امرأة شابة تنسلي إلى غرفة جوروي التي كان بابها موارباً من عمد ولا شك . وما لبثت الطباخة السمينة « سياتي » أن دخلت عليها باللبا البين : فهذه وثاة أمي من أن تكون شريفة ، عليها ثياب كتيباب لإلهات الأساطير ، تداف إلى تطبخ وتساها عن جناح السيد جوروي ... فعدمت مدام فوكير وطباختها على الأثر إلى استراق السمع ، فتسقطنا بضحك كانت من التردد والملاطفة من هذا الجانب وذلك ، في تلك الزيارة التي دامت بعض الوقت . فلما هبط السيد جوروي لوداع زارته ، تناولت « سياتي » سلتها وتصبعت الذهاب إلى السوق لكي تنقب العاشقين ، وقت لسيدها عند عودتها :

— لا بد أن السيد جوروي على جانب من الثراء فطبخ ، حتى يكون في مقدوره أن يعول صاحبانه في هذا المستوى .. تصويري ياسيدي أن عربة من أنعم العربات الخصوصية كانت في انتظارها عند رأس الشارع .. فعدمت إليها

فلما كان الغداء ، قامت مدام فوكير بنفسها فأسلدت من ثناء نفسها النار على النافذة ، لأن الشمس كانت تغم أشعتها على عين جوروي ! ثم قالت له في ودة ظاهرية :

— لك عند الحان حظوة ياسيد جوروي . وحتى الشمس تتحرى أن تسقط عليك !! وإن ذوقك وإيم الحن لرائع ، فأكان أبهاها !
فأجابها بزمه غلة الزلاء سموها النغمية موقفة :
— انها ابنتي ...

وبعد شهر من هذه الزيارة حظي بزيارة أخرى بعد الظهر ، بتلايس الحروج ، فقلتها الطباخة امرأة أخرى . واستطاع الزلاء هذه المرة أن يتأملوها ، فإذا هي شقراء مليحة شرقية ، أوسم من أن تمد ابنة لثل جوروي
وبعد بضعة أيام جاءت فتاة أخرى ، طويلة ، جميلة سمراء ، سوداء الشعر نافذة النظارة ، وصالت عن السيد جوروي ، فقالت « سياتي » :
— وهذه ثالثة ...

فلما عادت بعد أيام في المساء بتلايس السمرة الكبرى ، لم تعرفها الطباخة ، فقالت مع سيدتها :
— وهذه رابعة ...

وكان جوروي في هذه الفترة لا يزال يدفع مائة فرنك شهرياً كراه لافامته بالخان . فكانت مدام فوكير لا ترى ما يستدعي الغريبة أن يوسع رجل موز على نفسه ، وأن تكون له أربع عشيقات من الصبايا أو خمس ، وكانت تعجب بلباقته إذ يزعمهن بئانه . ولكنها وجدت في هذه الظاهرة تليلاً يرضيها لانصراف جوروي عنها رغم ثوبدها إليه ، بيد أنها لم تستطع اغضابه ، ولم تأتف من زيارة صاحبانه له في الحان . حتى إذا هبط بالكراه إلى خمسة وسبعين فرنكاً تنزهنها الغيرة على سمعة الدار ، وواجهته بالذريع عندما رأت احداهن تهبط من جبرته ، فقال لها الشيخ :

— هذه ابنتي الكبرى

— بنتك ؟ وهل لك ست وتلاون بنتاً يارجل !

— بل اثنتان فقط

... فلما انتهى العالم الثالث ، صعد جوروي طابقاً آخره فسكن القابض الثالث ، هارباً بالكراه إلى خمسة وأربعين فرنكاً في الشهر ، وأقلع عن التدخين ، وفضل راتب الحلاق مستغنياً عن تصفيف شعره وصباغته ، فبدأ زرى الهيبة . فلم يعد لدى مدام فوكير شك في أمره : انه شيخ حطمت الرذائل ، ولم تعد في عينيته قدرة على مقاومة آثار فسوفه لولا العقابر التي يبالغ بها الطبيب ، وأما لون شعره المائل الضارب إلى الخضرة فيرجع إلى افراط الشيخ في الشوات ، وإلى القويات السكيماييه التي يشار على تطايتها ليستعين بها على ذلك الافراط

والحق أن هيئة الرجل ورائته النقية والجسدية كانتا تثيران هذا الاعتقاد . وهو بعد من سي إلى أسوأ . وملابسه جلي ولا يبدلها ، وماسناته السابعة وسلسلته العظيمة اخفت كلها تباع . وتدهورت سمعته تدهوراً طغيماً ، فبعد أن كان يبدو في الأربعين وهو في الثانية والستين

صار يبدو في السبعين على أقل تقدير بعد أن ذهبت عنه آخر آثار تلك الحفرة التي كان يجتمع بها وجهه ، وخبأ ضياء عينيه حتى حال لونهما من الزرقة إلى الخضرة الباهتة ، واحمرت جفونه حتى غدا يثد الشفة إذا لم يثر الاشمئزاز

وذاث يوم انتهزت مدام فوكير الفرصة ، وقالت له في قالب الدعابة :

— أرى بناتك قد انقطعن عن زيارتك هذه الأيام

فانتفض الرجل كمن أصابته طعنة سيف ، وقال بصوت مختلج :

— بل يأتين في بعض الأحيان

فصاح التزلاء من الطلبة ضاحكين :

— ألا زلت تستطيع رؤيتهن من حين لى حين ؟ مرحى مرحى أيها الشيخ !

ولسكن الشيخ لم يسمع ماقلوا ، لأنه عاد إلى أحلام البسطة التي يعيش فيها ، فيحبسها من يراه حالة من حالات البلاهة ... فما من أحد كان يصدق أن هؤلاء اللذنيات بناته ... بل كانوا جيعاً على رأى مدام فوكير في أنه لو كانت له بنات على هذا الثراء الذي يدين به في زيارتهن السابقة له ، لما اضطر إلى البقاء في هذا الخان على هذا الوجه الزرى ، وبهذه الملابس الخلفة

وكيف كان يمكن التحقق من كنه هذا الشيخ ؟ ان السنين من التزلاء لا يبادرون الخان ولا الخى ، فهم فيه كالنحارات في أسدانها ، والشبان منهم ينسون الخان ومن فيه - بما فيهم جوروي - من خرجوا إلى أفق باريس الريب . فلم يبق أحد بالسؤال ، ولو سألو لرفوا في بسر أن جوروي كان من توار الذيق وساخ الامارية (التسمية) السكار ، وأنه جمع ثروة طائلة ، وأن له بنتين حقاً من أعلى السيدات في باريس مكاناً وأعظمهن جاهاً

وعلى هذه الحال ، حلت سنة ١٨١٩ وقد قرر في الأفهام أبعد الأوهام عن الحق في شأن هذا الشيخ للسكن ، فهو عند السكفة لم تكن له زوجة لأولاد ، وإنما هو عزب حطته القسومات وعاقبه على الفسق والجور بسوء الحال والمآل ...



ليلة المرقص

صلح الميخين دى استيباك عامه الأول في باريس كما ينتظر من شاب ربن مثله أغلى له العنان في عاصمة النور ، فالدراسة لا تقطع من وقته شيئاً كثيراً لأنها في الغالب مدخل ولعب تهديدية لعم القانون ، فألمه متسع من الوقت تتزاحم عليه التواغل إذا أراد أن يعرف جميع وجوه الحياة في العاصمة فيزور مسارحها وملاهيها ويطفو بمناخها ومعاهد الفن فيبهر ويتعرف إلى لغة الدماء وتقاليده العلية

وهكذا بدأ الميخين بالانجذاب بالمرات المفخرة التي تنرى أمام عينيه في الشاترايزيه ، ولكن الانجذاب - عجب المحروم - انتهى إلى نتيجة الطليعية وهي القطة والثني والحسد

فلما عاد بعد هذه السنة الأولى إلى قريته كان قد بلغ هذه المرحلة الأخيرة ، مرحلة التنى والمد والتعلق بمظاهر الترف والأبهة ، وقد فارقت سذاجة الريف وبساطته وقناعته ، وصار يشقى بالعيش الضنك الذي تعيشه أسرته على غلة أرض لا تزيد على ثلاثة آلاف فرنك سنوياً . وكان يشعر أن مستقبل أسرته الكبيرة ذات الاسم النبيل والدخل الضئيل متعاق بمسئقته الشخصية إلى حد كبير . وكان هذا مصافاً إلى تفاصيل كثيرة من دلائل الشين الللى كشف لعينه عنها الفئاع بعد تلك السنة التي خبر فيها الحياة في باريس سكات هذه الدلائل دافعاً إصافياً على الاعتقاد بأن أمامه أمراً واحداً لا يحصى له عنه : هو النجاح الباهر السريع في الحصول على مركز ممتاز وجاء واسع ، حتى غدا الشاب الربنى شعله متقددة من العلوح

وكان الفن كسل ذي نفس كبيرة لا يريد أن يدين بنجاحه لشيء ، هذا همته وموابعه . بيد أنه تعلم من السنة التي قضاها في باريس أن الواهب وحده لا تذهب بصاحبها بعيداً في مضار النجاح الاجتماعي . وتعلم أيضاً مبلغ ما للذة من النفوذ والتأثير في ذلك المضار ، فغزم على التزود لنفسه بسند نوى يعتد به في ذلك السكفاح الذي اتواء

وكان للفن عمة هي مدام دى مارسياك كانت لها فيما مضى في البلاط قدم وعرفت هناك أعظم الرؤوس وأرق الأنساب . فاتجه إلى تلك العمة بألها الملوثة . فنشرت كنانتها من المعارف بين سيدات العاصمة ونجحت أعوادها عوداً عوداً فاستقر رأيها على أن أنعم هاتيك السيدات لابن أخها هي الحسية النسبية « فيكونتس دى بوسيان » حلمته إليها خطاباً على الطريقة القديمة توصيها به وتطلب إليها أن تدفع بالفن في مراق الحياة الارستقراطية الاجتماعية فلما آتب إلى باريس في مفتتح العام الدراسي التالي بأدر بارصال الخطاب إلى التيكوتنس

جاءه جواباً على صودة دعوة الى حفلة رافضة بقصرها في الليلة التالية ، وكان ذلك في أواخر
نوفمبر من سنة ١٨١٩



وفي تلك الليلة أقبل الشاب الى خان فوكير في الساعة الثانية صباحاً ، وكان قد عاهد نفسه وهو
في نشوة الرقص أن يمرض هذا الوقت الضائع في اللهو بإحباء الليلة ساعراً الى الصباح ليستذكر
ما فاتته من دروسه ، فلما بلغ حجرته نشأ ملابسه وأوقد النار ليستدفق واستعد للانصراف الى
كاتبه وقد زودته بهجة اللهو والزهو ببدء من الشاطئ ، ولكنه واجه الكاباب الفجوح بفخر
شارد لأن أحلاماً من نوع آخر كانت قد ستأثرت ببله رغم أغفه .. فقد أدرك من هذا المرحوم
الحافل أن الفيكونتس بوسيان ملكة من ملكات المجتمع الباريسي وأن دارها من أغم الدورق حتى
سان جيرمان ، وأن بابا اعتبار اسمها وثروتها من أبرز شخصيات الأوساط الارستقراطية .. فأى
حظ موات قد أنبأ له وهو الفنى الغفير أن تفتح أمامه أبواب هذا القصر الكبير وأن
يستقبل فيه بالولف والتقدير ؟ وأنه لوفى أن هذه الدعوة تعد تكريماً شجعاً لثله فالدخول
الى صالونات ذلك القصر اللذبة شرف عظيم لا يناله إلا الأكسفاء لمعاشر النبلاء .. وهو
يدرى أيضاً أن قبوله في ذلك القصر هو بمثابة تصريح نافذ بالبرور من جميع الأبواب والدخول
الى أرق البيوتات في الوسط العالي من العاصمة الفرنسية

والحق أن الفنى قد يهرى بما رأى فلم يكذب يبادل الفيكونتس بضع عبارات حتى وجد نفسه
غربيقاً في خضم من الفاتنات الساحرات ، ولم يلبث أن ميز من بينهن شابة قبيلة تكفى
النظرة الأولى اليها لالقاء أى شاب صريعاً تحت قدميها ، وتلك هى الكونتس « انتازى
دى ريسنو » التى كانت معروفة بأنها صاحبة أجمل طائفة في باريس ، ففى طويلة العامة حاوة
القصص رشيقة الحركة ، لها عينان سوداوان كبيرتان ، ويد جميلة ، وقدم صغيرة وإذا تحركت
خلفتها فتوقد بنار حموية من فرط الحموية .. وهى الى هذا عجيبة لا عيب فى تكوين جارحة من
جوارحها وليس فى امتلائها ما يوحى باتهامها بالبلادة أو التثقل ، وكانت هذه الصورة هى الحلم
الدهى الذى طالما داعب خيال الفنى جيراسنتيك .. وقد احتل حتى سجل اسمه مرتين فى قائمة
مراقصها واستطاع أن يبدلها بضع كلمات خلال الرقصة الأولى :

— أين ترى يتاح لى أن أراك ثانية يا سيدتى ؟

— فى أى مكان ، فى الغاية ، أو فى المسرح أو فى بيتي

واجتمع الفنى بعد ذلك أن يقرب إليها بقدر الامكان ، فلما قال لها إنه من أتياء عمومة
الفيكونتس دى بوسيان وجد لديها استعداداً يقرب من التهاون لدعوته لزيارتها ، وكانت
ابناتها ساعة انترافها من الرقة والظرف بحيث اعتقد الفنى أن تلك الزيارة أضحت من
الوجهة الاجتماعية حتماً لازماً



« فوضع عينه على قف الفتح ودقق النظر فى الفتحة »

ويمكننا أن نتصور مبلغ القرعة الصافية التي استولت على الفتى الذي حقق من الأحلام في ليلة واحدة فوق ما كان يتمناه في عام : فقد فنج له بيتان من ارتفاع بيوت باريس عماداً ، والبقية بعد هذا آتية لا ريب فيها ، ثم هو قد لقي نائفة أحلامه وحفل منها بما يعلل له في حبال الآمال فأخذ يتخيل المشاهد بعد المشاهد من مستقبله السعيد حتى نبهته من هذه الأحلام للسؤلة آفة حرى كآهات محكوم عليه بحمل عبء لا طاقة له به ، آفة سرت في صمت الليل الساجي فكان لها في حنايا الفتى الحالم بالمعادة والمحب صدى هائل حتى لقد خلها حفرجة الزرع من رجل مجنصر .. وفتح الباب يرفق ، فرأى في البهليل خيطاً من النور ينساب من تحت باب الأب جوربو .. وخشى الفتى أن يكون جاره الشيخ قد ثقلت عليه علة طارئة فوضع عينه على ثقب المتاح ودق النظم في العرفة ، فرأى - وباهول ما رأى ! رأى الرجل الشيخ الذي خشي عليه المرض منصرفاً إلى عمل إجرامي من واجبه نحو المجتمع أن يتقصى حقيقته .. رأى الشيخ جوربو منصرفاً إلى الضغط بكل قوته على فتجان ووعاء من القضة الذهبية مفوشين نقشا فأخيراً محاولاً أن يجعل منهما سبيكة لا تتميز لها صورة أو قش .. فلما رأى الفتى ذراعى الشيخ ترتجفان من شدة الضغط قال في نفسه :

— انه لمس ولا ريب أو هو ضالع مع اللصوص لتصرف ما يسرقون .. أترأه لهذا يصنع الفقر والبلاهة حتى يغنى عن الناس حقيقته ؟

وعاد الفتى إلى ثقب الباب يبدق منه النظر مرة أخرى فإذا الشيخ قد وصل إلى مرحلة درجة السبيكة فوق المائدة لكي يجعل منها قضيباً مستديراً .. وراعه أن الشيخ الثاني لا يجد مشقة كبيرة في هذا العمل ، فهتف الفتى في عجب شديد وقد رأى نجاح جوربو في تشكيل القضيب : — انه في قوة أو غمطس ملك يولندا ..

ولكن أدهشه أكثر من هذا الفتى رأى من دلائل قوة الشيخ أنه أخذ يتأمل نتيجة عمله بدموع مدراة تبيل على خديه ! ثم نفخ الشمعة وسمه إيعين يش أنبيا شديداً وهو يستقي على فراشه ثم يهتف بصوت مختلط أجش مدموع :

— يا لطفلة السكينة

فتبين إلى وهم الشاب أن بالرجل مآ ، وأثر أن يكتم ما رأى بعض الوقت حتى يتجرء الحقيقة ولا يشغل التسمير بجواره للسكين ..

وتأهب الشاب للعودة إلى غرفته بيد أنه سمع على حين غرة صوتاً غامضاً يشبه خفق الخفاف مساعدة الدرج ، فأرهق أذنيه وتبين بالفعل صوت أنفاس رجلين ، فمجب كسراً أنه لم يسمع صوت فتح الباب الكبير ولأنه يعلم أن الخادم كريستوف أحكم إغلاق الباب بالزلاج على أثر حضوره ، ثم رأى في الحال ضوءاً في الدور الثاني في حجرة فوتران فهبط بضج درجيات واسترق السمع وطارق أذنيه رنين تقود ، ثم امضى النور وسمع الأنفاس تنردد في الطلالم مرة أخرى

هاجلة الدوح ، وفطحت مدام فوكير نافذة مخدعها وصاحت :

— من هناك ؟

فأجابها فوتران بصوته العميق :

— هذا أنا عاتداً من الخارج ياماما فوكير ..

وهز الفتي رأسه وقال لنفسه :

— كم في جوف الليل من أعاجيب ! حقاً أنه ينبغي على المرء أن يفتح عينيه جيداً ليعرف ما يدور في بلد عظيمة مثل باريس أسرارها أكثر بكثير من ظاهر أمرها

وهكذا صلبت أحلام السعادة التي أغمته لهاها مدام ديرستو ثم سلب الشيخ جوريو بألوانه وعجيب تصرفاته وصلبت الأصوات الخفية في ظلام الممان ما كان يدرسه الفتي لصمصبل . وواد القانون في ليته النابضة ، فأوى الى فراشه متعب الأعصاب وتأم نوماً عميقاً دون أن يقرأ حرفاً واحداً . . .

أخبار وأسرار

وفي الصباح التالي كانت باريس تلقها عبادة كنيضة من الضباب الذي يهبط عليها أثناء الليل لي يضيء الأمان حتى تدومها عند الصبح ظلمة سالكة يضل فيها أكثر الناس خبرة بمسالم الطريق ، ويتأخر فيها أشد الناس تدقيقاً عن مواعيد أعمالهم ، فانه يظن أن الساعة الثالثة من الصباح حين تكون في الواقع قد أذنت بإظلمة

لهذا كانت الساعة قد بلغت منتصف العاشرة ولم تكن مدام فوكير قد غادرت فراشها . وكان الخادم كريستوف والطباخة البدينة سياني وقد هما من نومهما متأخرين عن مألوف عادتهما جالسين يتناولان دفوة الصباح وعليها طبخة سيكة من القشدة التي اخنلهاها من المابن بعد التقدم للزلاء بعد أن أسرفا في غلبه بعد ذلك حتى لا تكتشف مدام فوكير أمر ذلك الاختلاس وقال كريستوف وهو يغمس لقمته الأولى في قحج القهوة :

— سياني . لقد حضر رجلان القليلة للاجتماع بالسبد فوتران مرة أخرى ، فإذا سألك سيدتنا تتعامل كل شيء . فهو رجل لا بأس به

— وهل أعطاك شيئاً ؟

— أعطاني أول الشهر مائة سنتيم ، وهي تفعة تحفل في طوابها المقصود منها ، وهو

الكتبان

— إنه ودمام كوتير هما اللذان لا يصدقان فيما يبدلان لنا ، ولكن الباقيين يودون لو استردوا باليسار ما مضوننا بالعين

— وماذا يطلوننا ؟ شيئاً لا يسمن ولا يفي من جوع ! فالألب جوريو أخذ يملئ حذاءه بنفسه طيلة العامين الماضيين . وهو على كل حال خير من يواريه القشدر الذي لا يطلها على الاطلاق ، فهو يثني لو تناول سائر الدهان بدل أن يطال به جلد حذاءه المقتدي ، وأما الطالب الريني فيعطيني أربعين سنتيماً لا تكتفي لما يستهلك على طلاء حذاءه من القرش ، ثم هو يبيع ملايبه الفديعة

— رياه . الساعة قد بلغت العاشرة إلا رباً ، فها هي ساعة الكنيضة تدق — وما الضير ؟ لقد خرج الزلاء جميعاً . أما مدام كوتير وروبييتها فمضتا الى الكنيضة لحضور قداس الساعة الثامنة في بيعة القديس ابتيان . وأما الألب جوريو فخرج متأخراً شيئاً في لفاقه . وأما الطالب فلا يعود إلا عند انتهاء محاضراته بعد العاشرة . وقد رأيتهم جميعاً يخرجون



وأنا أكنس السلم ، وقد أساء الأب جوروي بصدمته شديدة بالذي كان عمله ، فهو نبي صلب كالخديد . يا للرجل السكين ، فهم لا يتركونه في سلام مع أنه خير منهم كلهم مجتمعين . وهو إذا كان لا يعطيني شخصياً شيئاً ذا بال ، فالسيّدات اللاتي يعنني اليهن على جانب كبير من الوجاهة وينفقتن هبات كبيرة

— أتعني أولئك اللواتي يزعمهن بناته ؟ إن له منهن حفنة كبيرة

— إنى لم أذهب أبداً سوى إلى اثنتين هما بينهما اللتان تأتيان إلى هنا

— هذه سيدتنا تنقلب في فراشها ، وستقيم الدنيا وتقعدها من الحيرة أن أذهب إليها ، ونذ بالك من اللان واحذر أن تمت به المرة

— وضعت سيدي إلى سيدتها التي ابتدتها بقولها :

— ما هذا يا سيدي ؟ العاشرة إلا ربماً ؟ كيف تركتي أنام لي هذه الساعة ؟ إن هذا لم يحدث لي من قبل . أعطيتي اللشد وأذهبي بسرعة لإعداد الإفطار

— وإن هي إلا بشع دقائق حتى هبطت مدام فوكير الدرج لتجد المرة قد انتهت في لمي الأبن من يمش الآنية بكل همة ونشاط ، فصاحت بها :

— ميسيريس !

— فهيرت القطة ولكن لتعود بعد لحفة فتدسح يساق سيدتها التي نادت سيدي وفات لها :

— انظري ماذا فعلت القطة ؟

— لا تجزعى يا سيدي ، فسنصنع من هذا اللبن قهوة للأب جوروي وسأعوض ما نقص من اللبن بلقاء الفراخ . ونرى أنه لن يلاحظ الفرق لأنه لا يفتنه إلى شيء أبداً حتى ولا إلى ما يأكل

وفي هذه اللحظة سمع جرس الباب ودخل فوتران الناعة متغنياً بصوته العريض العالي بأغنية شعبية ، فقامها لينتدز ساحة الخان بقوله :

— عمي صباحاً يا ماما فوكير

ثم طوقها بذراعيه ، وأخذ بإعدها في إعداد المائدة وهو يوجه إليها الدعابات المرحية . .

— لقد رأيت اليوم شيئاً عجيباً

— وما هذا ؟

— رأيت الأب جوروي في شارع ولاية العهد في منتصف النافسة هذا الصباح عند دكان صائغ من يتروك الفضيات القديمة ، فوقفت أنظر ماذا يصنع فإذا هو يتجه بعد ذلك إلى منزل مراب مشهور اسمه كوبيك من أحسن المربين اليهود ، لا يعجزه أن يبيع عقلم أبيه إذا وجد في هذا نفعاً يهود عليه من وراء ذلك

— وماذا عمي الأب جوروي أن يفعل عنده ؟

— لا شيء طبعاً سوى أن يحاول إصلاح ما تورط فيه من خراب وإفلاس ويدين بسلب ثقافته على هاتيك الثقافات . . .

وفي هذه اللحظة ساحت سيدي :

— هنا هو

وسمع الأب جوروي يصيح :

— تعال يا كريستوف عمي إلى فوق

وتبع كريستوف الأب جوروي ولكنه لم يلبث أن هبط وحده فألته سيدته :

— إلى أين يا كريستوف ؟

— في حاجة للسيد جوروي

فأترع فوتران من يده مضروباً كان فيها وفراً العنوان بصوت عال :

— إلى الكونتس انتايزي دي ريتو

— وإلى أين ستجمل هذا الخطاب ؟

— إلى شارع هيلدر على ألا أسله إلا ليد الكونتس شخصياً

فرغم فوتران المظروف أمام عيبيه في مواجهة الشوّه وتساءل :

— وماذا فيه ؟ أوفرة قد ؟ كلا ! بل لإرسال مخالصة . رياه ! إنه رجل شهيم خدم .

أذهب الآن يا كريستوف بهذا الخطاب وفق أنك ستعاني هبة سخيفة

وكانت المائدة قد أعدت في ذلك الوقت تقريباً ، فلم تلبث مدام كوتير وفيكورين أن

دخلتا . فسألت مدام فوكير :

— أين كنتما هذا الصباح ؟

فأجابتهما مدام كوتير وهي تجلس أمام الموقد اتفقن قدسهما :

— كنتا نضلي في كنيسة القديس إتيان ، فالיום هو موعد توجهننا كما تعالين لثناء والد

فيكتورين ، فالثانة واجفة

— خير إن شاء الله . . تدفقي يا فيكتورين . .

وقرب فوتران مقعداً القنات من النار وقال لها :

— جبل أن يصل المرء كي يرق قلبه الوالد . . ولكن هذا وحده لا يكفي ، فأنت بحاجة

إلى صديق يحسن التفاهم مع هذا القدم ، فربل مثله تلك ثلاثة ملايين لا يكون انساناً إذا ضن

عليك بيانة حسنة . . فالثاتيات الحسن لا بد لمن من اثبات في هذا الزمان

فرشقتة الفتاة بنظرة يترقق فيها الدمع وهفت به :

— بالله سيدى إذا كانت لديك وسيلة ما للاتصال بأبى أن تخبره أن عطفه الأبوى وشرف والدتى أغلى عندى من كل ما فى العالم من أموال .

وفى هذه اللحظة هبط من أعلى جوريو والآنة ميشونون وبواريه فى وقت واحد . ولعل رائحة الشواء التى اجتذبتهم .. فلما جلس الجميع الى المائدة دقت الساعة الماثرة ، وسمع وقع خطوات الطالب الرقيق مقبلا من الخارج ، وبعد أن جالس الى جوار الأب جوريو وقال وهو يتناول قطعة طيبة من الشواء وكسرة ضخمة من الخبز ظلت مدام فوكير مثبتة فيها عيناها لتقدر وزنها وتسومها :

— لقد حدث لى شئ عارق فقد كنت بالأمس فى مرفس أقيم فى داوانة عم لى — الكونتس دى بوسيان — وهى دار بالغة الفخامة فاخرة الأثاث والرياش وكانت المائدة من أروع ما يكون وكنت أنا شخصياً كأبى ملك زمانى .. فقد راقصت لأجل حناء بين الحاضرات ، كونتس ساحرة ، هى ولاشك أشد من رأتينى فى حياتى فتنة .. انها حورية من حوريات الأساطير تتألق بهاء وتشرق ساء .. وليس هذا عجيباً ، ولكن العجيب أبى رأيتها هذا الصباح سائرة على قدميها فى شارع دى جري ، تنفق قلبى خفقاناً عنيفاً ، وخطر لى ..

فقاطعه فوتران بقوله :

— لأنها كانت فادمة الى هنا ؟ هاها ! اعلمها يا صالح كانت بسبيلها الى زيارة المراه كوبيك ، فلو قدر لك أن تنهب صدور عانيت باريس ، لوجدت المراهين يشغلونها أكثر مما يشغلها المشافون .. إن صاحبك يا صديقى هى الكونتس انتازى دى ريسو ، وتقيم فى شارع هلدن . فإسمع الطالب هذا الاسم حتى حان فى فوتران .. أما الأب جوريو فرفع رأسه فجأة وجعل يحسب فى التعدادين تحديقاً يغيب بالفتاق والاهتمام بحيث استرعى دهشة سائر التزلاء وقال :

— إذن سيصل كريستوف متأخراً ما دامت قد ذهبت الى كوبيك وكان صوته ظاهر الجرح .. فقال فوتران على مدام فوكير وهس لها :

— لقد صدق حسد ..

ومضى جوريو يتناول طعامه بطريقة آليّة غير متنبه الى ما يأكل ، فقد كانت الحيرة والتباؤة ظاهرتين عليه بجلاء .. أما الطالب فتال بدهشة :

— ومنذا الذى أخبرك باسمها يبقى الشيطان ؟

— على رسلك ! فهذا الأب جوريو يعرف كل شئ عن الموضوع ، فلماذا أجعله أنا ؟

— السيد جوريو ؟

وتنبه الشيخ للكسين فتساءل :

— ماذا هناك ؟ أهى إذن كانت باهرة الحسن ليلة أمس ؟

٣٣

— من ؟

— مدام دى ريسو ..

وهست مدام فوكير لجوارها فوتران :

— أما ترى لى الرجل الغافى للنصاى وكيف تبرق عيناه ؟ !

وهست الآنة ميشونون فى أذن الطالب :

— هو إذن يحوزها حقاً .. ؟

ولكن الفتى لم يأتى بالأا كلامها ، بل أجاب جوريو الذى كان يثره النظر :

— أجل ! انها كانت أبعد حسناً مما يتصور الفل .. ولولا وجود مدام دى بوسيان

لكانت ملكة المرفس ولا مراء ، فقد كانت عوراهتمام الرجال كافة .. فإسى مثلاً كان الثانى

مغر فى قائمتها ، ولم تنفخ رقصة واحدة ، حتى كادت الحاضرات يشفقن من القبط ..

وعاق فوتران على هذا الحديث بقوله :

— هكذا النساء الفطيات الحسانوات فى باريس : بالأمس ملكة مرفس فى قصر دوفة ،

واليوم ذائقة على باب مراب دنى .. فلا تنفوتك حكمة هذه الظاهرة الجديدة : فالباربيسة

اليوم إذا لم يسعفها زوجها بفتات بذخا باعت نفسها لتحصل على المال .. فإذا أعجزها هذا

يمتحن على المال بأى وسيلة ، ولو أدى بها هذا الى انتزاع الاقامة من قم أمها !

واكهر وجه الأب جوريو ، بعد اشراق كان يكسوه وهو يصفى للطالب

أما فيكتورين فكانت منصرفة عن هذا الحديث كله بالحطوة التى كانت مزمنة أن تقدم

عليها . وأشارت إليها مدام كوتير أن الوقت قد حان لكى تنهب وتلبس ملابس الجروح ، فلما

انصرفت السيدتان انصرف معها الأب جوريو ، فثالت مدام فوكير لبائيتى بجمردة :

— أما رأيته ؟ لقد وضع با ليدع مكاناً لك أن الرجل قد هدم نفسه وخسر نروته

تحت أقدام هاتيك التوبة ..

فصاح إيجين دى رستنايك :

— يستحيل عليك أن تعقبين أن الكونتس دى ريسو الحسناء ذات ملة بهذا الأب جوريو

فأجابه فوتران بيؤدة :

— إن أمثال هذا الرجل تستقر فى آذانهم فكرة لا سبيل الى تزعها منها ، وهى أنه لا

يروى ظمأهم الا ما يبيع معين ، قد يكون ملعاً أجاجاً ، وفى سبيل رشقة من هذا البئبوع

قد يبيع لره منهم زوجته ويته ، بل قد يبيع روحه للشيطان ! وهذا البئبوع يختلف اسمه

باختلاف الناس ، فهو المبسر عند فريق منهم ، وهو المضاربة فى المصفق « البورصة » عند

فريق آخر ، وهو الموسيقى أو جمع النصف ولوحات الصور عند فريق ثالث .. وهو امرأة

يعيتها عند فريق رابع ، فلو قدمت الواحد منهم نساء الأرض كافة لما عدل بين هذه المرأة

العينة التي قد لا تحبه ، بل قد تسيء معاملته إلى أقصى حد .. وأدب جوروي من هذا الفريق الأخير .. وأعتقد ان الكونتس تأمن جانباً لالتزامه الكتبان ، ولعمدة عن انارة الشبهات في عريظتها الراق ، فهي تستفله مادياً .. وأما الشيخ السكين فهو يتقد حياً لها ، فلا يشغل ذهنه خاطر سوى هواها ، ونها عدا هذا فهو كما ترى دابة بجاء .. أما سر ما حدث اليوم ، فهو ان الأب جوروي قد حل الى الصانع سجداً فضية لصهرها ، ثم توجه الى السراي كوكس في شارع دى جرى .. فثاذا فعل عندما آب الى هنا ؟ أرسل كريسثوف الى دار الكونتس دى ريسنو .. وقد أُرانا كريسثوف العنوان على مطروف بداخله ايصاف مخالصة .. وما دمت أنت قد رأيتها بنفسها لدى نفس هذا الرائي ، فالبأنى لاشك فاصفة الاستعجال .. ولاشك أيضاً أن الأب جوروي قد سدد لها دينها ببشامة .. أجل ان هذا من الودح بحيث لا يمتنع الى استنتاج .. وهذا ينمى الى صديق طالب العلم والحق ان صاحبك الكونتس كانت وهي تضحك أمس وترقص وتغزل وتهايل إنما كانت في الواقع تنقلب على جمر الغضا فثاذا على دينها للذل .. أو لعله دين عشيقها !

— لقد جعلتني على أحر من جمر الغضا أنا نفسي لحفة على معرفة الحقيقة عن يقين .. وإنى لغداً غداً الى دار الكونتس دى ريسنو ..

— ولذلك واجد الأب جوروي عندها ، لقبض مكافأته على عمله النبيل ..

وحينئذ صاحبت مدام فوكير في دهشة بالغة :

— أقول ان الأب جوروي حل مصافه القضية الى الصانع لصهرها ؟

وسأل العجيب في لحفة :

— هل كانت على غضاها حامتان تتلاخان ؟ ..

فقال صاحبة الخان :

— انها عنده صنو حياته ..

فقال فوتران :

— ها أنت ذا ترى الى أى حد بلغ هوس الرجل بهذه المرأة

وفام الطالب الى حمرته . وعلا فوتران الخان . ومعنى إلا دفاعك حتى استقلت مدام كوتير فويكتورين عربة أجرة ، وقدم يواربه ذراعاً للآنسة ميشوتوايتشيا قبلها في حديقة البياتات .. فقالت سياني :

— انها أول مرة يخرجان فيها معاً .. وما صنون يبوسة ونحوها وصلابة ، حتى لأعشى لذا اصطدما أن يتقدح منهما العشر !



فلما عاد الأب جوروي في الساعة الرابعة ، لاحظ احرار عتي فيكتورين . وكانت مدام فوكير

نصت الى قصة زيارتها الفاشلة لذلك الصباح . فقد ضاق صدر السيد « تايغير » بمحاولات ابنته ومدام كوتير أن تقابله ، فسمح لهما أخيراً بوضع دقائق ، لكن يعرفهما وجهة نظره بصغة نهائية ..

واستطردت مدام كوتير تقول لها :

— مجباً بإسديتي انه لم يسمح فيكتورين بمجرد الجلوس ، فطلت واقفة طلول الوقت . وكان يوجه الى الكلام ، لاني غضب — فليته أظهر هذا الانفعال — بل بكل مدوء قاتل ، فقال اننا نضع وقتنا وجهدها سدى بطلب الاجتاه ، وبأن الآنسة الصغرى — فهكذا يدعوا بنته ! — تنزل بنفسها في نظره ، فتنابرهن على ملاحقته . ومن لا تنقلب مقابله إلا مرة واحدة في كل سنة ! — وانه بما أن والده فيكتورين لم تكن لها ثروة خاصة ، فلا حق للفتاة عنده فينى .. وجعل يضرب على هذه النعمة حتى يكت السكينة ، وألفت بنفسها تحت قدميه وقالت له بشجاعة انها إنما تنقلب مقابله من أجل شرف والدها فحب ، وأنها على أن تستعداد لاطاعة جميع رغباته بغير تفسر . وتوسلت اليه بكل تذلل أن يقرأ الكلمات الأخيرة التي سطرتها له والدها في ساعة موتها .. ومدت يدها اليه بالخطاب في تضرع يفتت الأكباد ، لست أدري من أين أخذها الله عباراته الرقيقة المؤثرة التي جعلتني أبكي بحرارة .. فهل تدريين بإسديتي ماذا كان يفعل هذا الوعد ومن يقول له هذا الكلام ؟ كان يفس أطافره ! ثم تناول الخطاب الذي سطرته مدام تايغير السكينة بدوعها وأثنى به فوق رقبه اللود قال « لأبأس .. » وهم أن يقدم بديه لابنته فينضمها من جسدتها ، ولعله أيضاً كان سيقبلها ، ولكنه رد بده في آخر لحظة .. أبس هذا فظلياً .. ثم دخل ابنه الضل ، ولم يفت لي شقيقته !

فصاح الأب جوروي :

— ما حيواتان يهينان إذن !

واستطردت مدام كوتير ، غير ملقية بالآ الى تعليق الشيخ السكين :

— وحينئذ خرج الوالد والولد بعد أن انخبا ل واعتذرا لارتباطهما بوعده سابق .. وكان هذا ختام زيارتها .. وعزائي أنه رأى ابنته . وإنى لأعجب كيف ينكر نسبتها اليه . وكيف يثني شهبها الكبير به ، فانها صورة منه طبق الأصل ..



الجولة الأولى

وترجع راسيتيك كما أشار إليه الوصف ولكن ارتباطك جماع يصطدم ببعض الأدوات فكاد يقع على الأرض ، فسمعت له الفرصة ليرى باباً يفتح في آخر الدهليز الذي نفذى إليه الحجر ، ويسمع صوت مدام دي ريتو وصوت الأب جوريو معاً ، ثم صوت ثقب ! وتبع الوصف فاخترق قاعة المائدة إلى الصالون الأول حيث جلس في مواجهة النافذة المطلقة على القناة لكي يتاح له أن يتحقق هل الأب جوريو هو الذي كان مع الكونتس أم لا . وكان قلبه يدق دقاً متداركاً عبقاً وقد فترت إلى ذاكرته حذقات فوتران وكراؤه . وكان الوصف لا يزال الباب فاتحه إليه شاب بالغ الأنافة وقال له بصبر نافذ :

— لاني ذاهب يا موريس ، فقل لسيدتك الكونتس انني انظرتها أكثر من نصف ساعة ثم اتجه الى النافذة التي كان يطل منها ابنيين ، ولعله ما فعل ذلك ليطل على القناة بل ليدبين وجه القى . وأجابه موريس قائلاً :

— يحسن بيسدى الكونتس أن ينتظر برهة أخرى ، فقد فرغت سيدتي مما يشغلها وفي هذه اللحظة ظهر الأب جوريو متجهاً إلى الباب الخارجي عبر القناة ، خارجاً من باب السلم الصغير ، ومنهكما في فتح مقلته دون أن ياتي إلا إلى الباب الكبير الذي فتح على مصراعيه ليدخل منه شاب يغود عربة خفيفة أنفة ، ولم يبق إلا في اللحظة الأخيرة لكي ينحدر من الرفوع تحت سناك الحبل . والتفت الشاب صاحب العربة نحوه في غضب ، حتى إذا تبينه أتى إلى بحبة شبه منقصة أجابه عليها الأب جوريو بحبة ودود تطفح بالبطية وقد مرت هذه الأحداث بسرعة البرق الخاطف ، والطالب منصرف إليها حتى نهبه صوت الكونتس في الهجرة وهي تقول بلهجة يخطط فيها العتاب بالذلال :

— أكنت تولى الاصراف حقاً يا مكيه ؟

فالكونتس لم تنبه إلى حضور العربة وساقها الوجيه . أما راسيتيك فاستدار ليرى الكونتس في ثوب من الكشمير الأبيض فيه عقد وردية ، وشمعها مذكور على سجيته ، والعطر يتضوع منها . فلا ريب أنها خارجة من الحمام الذي كسى جملها الخلاب بضرب من الطراوة زادها فتنة في فتنة ، أما عيناها فكانتا لامعتين لمانا طرياً . فلما تناول مكسيه يدها ليقلها تبين راسيتيك وجه مكسيه ، وتنهت الكونتس إلى وجود راسيتيك ، فقالت له بلهجة لا يئني مغزاها على الريب :

— أهذا أنت يا موريس دي راسيتيك ؟ كم أنا مسرورة أن أراك الآن هنا !

وجعل مكسيه يتقل النظرات بين ابنيين والكونتس بما معناه :

— أظن يا عزيزتي أنك لن تعدى وسيلة لاجلاء هذا القسوى . خلاصاً: منه بالله

وكانت الكونتس ترمق هذا المكسيه الأنيق الرقيق بنظرات ملؤها الامتثال ، من قبيل هذه النظرات التي تفضح مكنون سر المرأة وهي لا تدرى ، فأحس راسيتيك بمقد شديد على

وفي اليوم التالي تمطر راسيتيك وترين مختلفات به أيضاً احتفال ، ثم توجه في نحو الساعة السادسة بعد الظهر إلى دارمدم دي ريتو . وكان أثناء الطريق يحاور نفسه حالاً بأقصى ما يمكن أن يتخيله من السادة على عادة الأغراب من الدبان حين يعتقدون أو حين يتصورون أهدافهم المأمولة على العموم ، فأنهم يرون سبلهم إلى غايتهم مفروشة بالورد خلواً من العقبات والموتى فضلاً عن الأخطار . وكان يعيش في حذر شديد خوفاً على حذائه اللامع أن يتسخ ، وبعد في ذهنه العبارات الخفيفة الطريفة التي تجيب بها على أسئلة مدام دي ريتو كما يفترضها ، ويراجع تلك العبارات للتفتيح والتصحيح كي تكون نهيداً صحيحاً لاجلئها بهواء عندما يأون الألوان ولكن لا يمنع الحذر من القدر ، فقد وقع الذي كان يخشاه واتسخ ثيابه ، واضطر إلى مصحه وتنظيف سرواله عند الباب له رويال ، وقال لنفسه بحسرة وهو يقبض بقية ثمنه من ذوات اللات سنتم كان قد ملعه على سبيل الاحتياط لندرات الطواريء :

— لو كنت غنياً لذهبت إلى هناك في عربة ، ولأتيح لي أن أخرج للتفكير والتدبير ...

وأخيراً وصل إلى شارع هلدو وطلب مقابلة الكونتس دي ريتو . وتقبل في حق النظرة المتعالية التي صبا عليه خدم القصر حين رأوه يعبر القناة واجلادون أن يسموا صوت عربة تهب بالباب . وقد تأثر لهذه النظرة بحيث طارت من ذهنه جميع العبارات والتدبيرات التي خال يكبدسها فيه استعداداً لهذا اللقاء . ووقف السكين ينتظر عودة الوصف بالأذن وهو ينظر من نافذة غرفة الانتظار . وأخيراً عاد الوصف ليقول :

— سيدي . ان سيدتي في حجرة زرقها مشغولة عن الرد على سؤالي ، ولكن إذا شاء سيدي فليتفضل بالدخول إلى الصالون ، ففتحت زائر آخر ينتظر سيدتي فيه

وتقدم راسيتيك ففتح الباب الذي دخل منه الوصف بكل ثبات ، لكي يرهه له أنه على علم وصلة بالبيت وأهله ، ولكنه ألقى نفسه في حجرة مزودة بالاصباح وأدوات التدفئة ومنشآت الحمام ، فكانت الضحكات للكمومة التي سمعها صادرة من الدهليز هي الغاضية على البقية الباقية من هدوئه وفتته بنفسه . ثم قال له الوصف في ذلك الاجلال اللبالب فيه الذي يبدو في الواقع مؤيداً من الخبيرة اللاذعة :

— من هنا يا سيدي من هنا

هذا الشاب . . فتعمره الأشقر الجميد تعجيداً جيداً قد أشعره ببلغم ما عليه شعره هو من اضطراب وشاعة . ثم نغلا اثنيان الساطان يريق رائق قد أطفاه على بلغم حرمان نديه من الأناقة والامعان برغم كل ما بذله أثناء الطريق من عناية وحذر ، ثم أى فرق هائل بين ملابس مكسيم وملابسه ، فلابس مكسيم دقعة عبوكه تبرز أجزاء جسمه فكأنه فناء دقعة المحصر بإرزة الصدر

ويدون أن تنظر رداً من إيجين ، اتجهت مدام دى ريتو إلى الصالون الآخر ، وتبعها إليه مكسيم . . فتبعهما إيجين عنقاً فوقت ثلاثتهم قرب المدفأة في وسط الصالون الكبير . وكان الشاب يعلم عن يقين أن وجوده يضايق هذا الشاب السمع ولكنه عزم على المجازفة بغضب مدام دى ريتو في سبيل إنقاذها ، وقد أدرك علاقة مكسيم بها فاعطى له على كراهية القرم لغيره ، غير عالم أن من عادة الكونت مكسيم دى ترى أن يستدجر الناس إلى لهاته ، فاذا ضلوا بأرزم وقتلهم

وإذا كان إيجين صياداً ماهراً فإنه على كل حال لم يبلغ المرتبة التي وصل إليها مكسيم من إصابة الهدف عشرين مرة من اثنتين وعشرين طلقة وانصرف الكونت إلى تحليب النار في الفلاة بوجهه هضم عليه غيرة السخف ، فتغير وجهه استأزى ونظرت إلى إيجين نظرة تساؤل يارد ، كأنها تقول له :

— لماذا لا تضى من حيث أنت ؟

وتصنع إيجين السرور وقال لها :

— سيدتي ، لقد تعجبت المناسبة لكى أراك حتى . . .

ولم يتم عبارته ، لأن باباً فتح ودخل منه السيد الذى دخل القناه يقود عربة ، وقد بدعاوى الرأس ، فلم يجرى الكونتس وألقى على إيجين نظرة متسائلة ، ومد يده إلى مكسيم فضاغته بطريقة تلم عن أشوة دهم لها إيجين ، ذلك أن أهل الريف يجهلون منافع الحياة للثلة الأناطاب . وأقدمت الكونتس زوجها إلى الشاب قائلة :

— مسيو دى ريتو

فانحى إيجين احتفاء عميقة واستطردت الكونتس :

— وهذا هو مسيو دى راسنيك ، من ذوى قرى الفيكونتس دى بوسيان من طريق

آل مارسياك ، وقد كان في شرف مقابلاته في حفلتها الراقصة الأخيرة

• من ذوى قرى الفيكونتس دى بوسيان عن طريق آل مارسياك •

كانت هذه الكلمات كافية لاجداث تأثير سحري على زوجها فخرج عن فتوره وترتم وجها الفنى بجمراة . بل أن الكونتس مكسيم أيضاً تلى عن واقعته وازدراثة . فكان هذا الانقلاب أوضح برهان لدى الطالب الرقيق على بلغم ما للأسماء العريقة من نفوذ في المجتمع الباريسى .

وساعدت هذه التجدد على تفتق ذهنه وحضور بديهته فبادت إلى ذاكرته الباربات والأشارات التي كان قد أعدها في ذهنه لهذه الزيارة

وأخذ الكونتس دى ريتو يتحدث إلى الفتي عن شجرة النسب التي تربط منذ أجيال أسرته بأسرة الفيكونتس دى بوسيان حتى إذا عرف أن بين أجداده قائداً بحرياً هتف به :

— اليس هو ياسيدى الذى كان يقود السفينة « المتنقم » قبل سنة ١٧٨٩ ؟

— هو عنه . !

— إذن فهو قد كان يعرف جدى أنا الذى كان يقود السفينة واروك . . .

وهز مكسيم كتفيه وألقى على الكونتس نظرة مؤداها أن زوجها ما دام قد أخذ في ذلك الحديث فهو لن ينتهى منه أبداً كما تدته ، فقهمت استأزى مراده وابتسمت وهي تقول له :

— تعال يا مكسيم معى فلدنى شيء أريد أن أكلفك به ، أما أننا ياسيدى العزيزين

فستتركنا لتبحرا على هواك على ظهر المتنقم أو الواروك

ونهمت فأشارت إلى مكسيم فتبعها نحو حجرة زينتها . وما وصلا إلى الباب حتى قطع الكونتس حديثه مع إيجين وهتف بزوجه :

— استأزى . ابقى يا عزيزتى فأنت تعلمين . . .

— أنى عائدة ، فلن تستغرق المهمة التي أريد تكليف مكسيم بها سوى دقائق

وعادت وشيكا ، فقد أدركت بفطرتها أن هذه اللحظة من الانعطاف التي تتور فيها شكوك الأزواج بقوة وإن كانت دوافع الشك غير قوية . وأدركت أيضاً أن الطالب الشاب هوالمشلول

عن استيلاء هذه الحالة على زوجها بإثارته اهتمامه بموضوعه الفضل وهو البعيرة ، فرفضت الطالب بنظرة غيظ وسبق لم يرهما سوى مكسيم الذى قال الكونت والكونتس والطالب :

— أراكم مغفولين ، ولا أريد أن أقبل عليكم

وانصرف ، فناداه الكونت عازماً عليه بالبقاء ، وبادرت الكونتس بإفناء أثره وهي تدعوه إلى المشاء ، ثم بقيتا في الصالون الآخر برهة طويلة على أمل أن يصرف الكونت

الطالب الشاب

وكان الشاب يسمعهما تارة يضعكان وتارة يتعددان ، فبذل جهده في الفتر برضى الكونت بالمجاملات حيناً وبالذمات حيناً آخر ، فجهداً في فتح أبواب جديدة للمناقشة في الأمور التي

يهم بها حتى يتبين مدى علاقة جورجو بالكونتس . قبل انتهاء الزيارة . فهذه المرأة المدفوعة في مكسيم ، والمتسلطة على زوجها ، والتي تربطها بصانع الإطارية « الشعرية » السابق صلات عاطفة ، كانت تبدو له لغزاً يبلت على استجلاء غفائمه ، وبضدر الطمع في الوصول إلى عرش

لها يوما من الأيام

ونادى الكونت زوجته من جديد فقالت لاشطبها :

— لا فائدة يا عزيزي مكسيم ، لا بد من التسليم بالأمر الواقع ، قال هذا الساء
— أرتجو يا عزيزي أن توصدى إليك في وجه هذا الشاب الذي يصغر لك جذوة مشتعلة
من الهوى يبدو وهجها في عينيه حين ينظر إليك ، فهو لاشك سيلاحقك بيارات الغرام
فاضطر إلى قتله
— هل أنت أبله يا مكسيم ؟ ان هؤلاء الطلاب الاحداث من أصلح ما يكون لاداء دور
مناصت الصواعق : ولن يفتنى أن أوجه شكوك ريسنو وغيره نحو هذا الشاب
فاغفر مكسيم ضاحكا وخرج ، وأطلت الكونتس لثرا وهو يقود حصانه ويطوح سوطه
في الهواء ، ولم تمد إلا حيناً أقبل وراءه الباب الكبير ، فقال لها زوجها حيثئذ :
— أليست هذه من غرائب المصادفات ؟ فضيعة أسرته لا تبعد كثيراً عن ضيعتنا في « فرقي » ،
وجدى وجده كانا زميلين
فأجابت الكونتس وهي شاردة الذهن :
— يسرنى أن يكون لنا أصدقاء مشتركون
فأجابها الميجين بصوت منخفض :
— أصدقاؤنا المشتركون أكثر عدداً مما نظنين
فخفيت فيه وسألته بإهتمام :
— وكيف كان ذلك ؟
— لقد رأيت منذ قليل شخصاً يخرج من عندك . وهذا الشخص جارى المباشر في الحان
الذي أنزل فيه ، وهو الأب جوروي
وما تلقى الشاب بهذا الاسم الأخير على هذا النحو حتى أخذت الكونت رجة امتعاض وقد
لثاب بعدة :

— هلا قلت « السيد جوروي » بإسدى ؟
وشجب وجه الكونتس ثم احمر وبدأ عليها الضيق ثم تصمتت الهدوء وقالت :
— من رابع المستحيلات أن تعرف انسانا أدنى إلى قلبنا منه
ثم انفتحت إلى البيان وقالت كأنها قد استولت عليها نزوة طارئة :
— هل تحب الموسيقى يا سيدى ؟
— أحبها كثيراً
ولسكن حاله كانت قد سامت لشعوره بأنه قد انترف خطأ غامضاً
— وهل تننى ؟
— كلا يا سيدتى
— واخساراته

وأخذت تندندن أغنية إصالية

والواقع أن الميجين قد أتى أمراً إذا يذكره الأب جوروي على هذا النحو : فهو كشخص
أدخل على سبيل التكرم الحواس إلى متحف للمصنوعات الدقيقة الثينة على كوار
الهواة ، ولكنه أسقط على الأرض بحركة غير موقفة صفاً أو صفين من تماثيل كانت رؤوسها
معلقة وملصقة إلى أجسادها بنسائية ، فهو يفتنى لو انشقت الأرض وأبتلعت . ورأى وجه
الكونتس جامداً قاتراً ونظراتها معرضة «اعتذر وهم بالانصراف . وقالت له الكونتس :
— نرى أنك ستجد الكونت وستجندى على استمداد دائماً للترحيب بك كلما خطرت
بإلك زيارتنا ...

فغايما الميجين وخرج متبوعاً بالكونت الذى أصر على مرافقته إلى غرفة الانتظار ، فلما خرج
الشاب قال الكونت لوصيف موريس :
— كلما حضر هذا السيد فلن أكون هنا لا أنا ولا الكونتس
ووجد الميجين المطر ينهمر ، فأرأى عربة كانت عائدة من «وكب عرس ولا تزال بها بقية
من الزهور حتى ركبتها وأعطى السائق عنوان الفيكونتس دى بوسيان قريبته ، ليفكرها
ويروق صوته بها وينفسرها عما غمض عليه من أمر الكونتس دى ريسنو



محنة عاشقة

ولم يخل القنى من الزهو حين سمع سائق مركبته يصيح بأعلى صوته :
— افتحوا الأبواب ...

نفقتم حاجب عليه بزة حمراء مذهبة ففتحت البوابة الكبرى على مصراعها ، وشعر راستنيك بالرضا والعربة تتجهز على الدرجة الفخرى ، فنقف به عند السلم . وفيما هو يهبط من العربة طرقت سمعه ضحكات بعض الحدم وهم يتندرون بحديثه للعدة لمكب عرس من أعراس سواد الناس ، وأما على إدراك مبلغ غرابة عريته ، وجود عربة أخرى ملهمة أتيفة في الغناء ، هي عربة بعض الزوار ولأرب ، يجرها زوج من الصانعات الجياد ، بضأن الواجد على اللجام ، ويكادان يخرجان من اهاتهما توقدا وقوة ... ولا يمكن أن تساوى المركبة وجودها أقل من ثلاثين ألف فرتك بحال ... فقال القنى في نفسه :

— من هنا أيضاً ياترى ؟ لا بد أن لدى ابنة عمى مكسيها ، هي الأخرى !

وعرف في هذه الساعة أنه يتندر أو يستحيل أن يجد بين فئات باريس من ليس لها عشيق واحد على الأقل ، فالثلاثة صعبة ومريرة

وصعد الدرج ، وهو يشعر في حلقه بضعة ممتعة ... فلما وصل إلى الباب الزجاجي فتحه فدم عليهم وفار الجند ، فدخل إلى جناح الفيكونتس لأول مرة — فالمراسم أقيم في اليوم الكبير بالطابق الأرضي لافى جناح ربة البيت الحاس بطبيعة الحال — وتولى له أن يشهد تلك التفتحة العريقة التي تدل على أرفع ذوق وأتقن أسلوب في الحياة

ولما كانت الفيكونتس لاستقبال أحداء قبل انصاف الخامسة ، فانه لو بكر خسر دقائق لا حصى بقاتها ... أما الآن فقد انتاده الوصف ساعداً به سداً كبيراً مفروشا ببطاط أحمر سيك إلى جناح الفيكونتس التي كان يحول عنها وعن حياتها كل شئ . مع أن هذه الحياة لها قصة شائقة شائعة على جميع الألسن في مجتمعات باريس

فالفيكونتس عقدت أسرة العشق منذ ثلاث سنين بينما وبين نبيل من أعلى نبلاء البرتغال مكانة وأوسهم ثروة ، هو الماركيز داجودا بنتر . وكان غراماً جارفاً مائلاً . لا قبل لماشين بوجود طرف ثالث بينهما أو معها ، وكانت هذه الحقيقة من الموضح بحيث انتفع بها الفيكونت دى بوسيان نفسه ، فكان قدوة للجميع في احترام هذه العلاقة إن ملوعاً ولذا

كهما ، فألف الذين كانوا قد درجوا على زيارة الفيكونتس دى بوسيان في الساعة الثانية بعد الظهر أن يحذوا الماركيز داجودا بوتو لديها . ولما كانت الفيكونتس لاستطيع أن تعقل باهات وجههم صراحة ، فقد عمدت إلى استقبائهم بفتور ظاهر ، وإلى التزام الصمت التام معهم ، حتى فهم الجع أن وجودهم ينقل عليها ، فلم تلبث أن ألقت نفسها بالوحدة الثامنة قبا بين الثانية والرابعة بعد الظهر

وفي المساء ، عندما كانت تذهب إلى الأوبرا أو غيرها من الساحر ، كان يصحبها زوجها كما يصحبها الماركيز .. ولكن زوجها كان من اللبابة بحيث يغادرها بعد أن يفرها في المفورة ويذهب لقضاء السهرة مع أصحابه

والآن نبت في رأس الماركيز فكرة الزواج ، والفتاة التي وقع عليها اختياره هي الآتية دى روشفيد .. وشاع هذا الأمر في الأوساط الراقية ، حتى لم يعد يجهله سوى شخص واحد هو الفيكونتس دى بوسيان . . . فهي وإن فاتحتها بعض الصديقات في هذا تديجاً ، لآلات تعتقد الأمر لفتاً من تدبير حاسدتها وكيدهن ، ولا أساس له من الصحة المسلفا .. ولكن التجاهل أو الانكار لم يعد مجدياً ، لأن عقد الحفلة سينشر رسمياً في وقت قريب ويطلب الاذن من الملك بالزواج بصفة نهائية

وكان حضور الماركيز عند صاحبه هذا العصر على نية مصارحتها بالأمر ، ولكن الشاب البرتقال الوسيم لم يجد في نفسه القدرة أو الشجاعة على هذه المصارحة ، فليس أشد من توجيه مثل هذه الانذار الهائى « إلى امرأة عاشقة . . . بل أن من الرجال من يستعظم مواجهة امرأة حسنة بما يسوقها أكثر من استغفامه لسيب مرهف يلقاه بعدوه وهو عارى الصدر

وفي اللحظة التي وصل فيها إليهم دى رستنيك إلى دار الفيكونتس كان البرتقال على أحمر من الجمر ، تهاقاً على الانصراف ، لارتباطه بتوعدم خطيبته رجلاً أمر الانضاء بأنبا إلى الفيكونتس أعاداً على أنه سيلفها حتماً من طريق غير ملقيه هو ، أو إذا كان لا بد من أن يقضى به إليها هو شخصياً ، فمن الخير أن يكون ذلك في سلعور يخطأه ، فإلم أحرون من الإنسان في مثل هذه الأحوال !

فلما أعلن الوصف إلى الفيكونتس حضور السيد إيمين دى راستنيك ، استولى القرح على الماركيز داجودا بنتر ، ولم تفت هذه الظاهرة عين الفيكونتس اللبابة ، ذلك أن المرأة العاشقة أرعفت حساً بالخطاير التي تهدد غرامها من احساسها بلذة الغرام نفسه .. وكان إيمين يجهل أفى الره في باريس لا ينبغي أن يزور كائناً من كان إلا بعد أن يستقضي من أفواه الحلق تاريخ البيت وتاريخ الزوج والزوجة والأبناء ، حتى لا يقع في أخطاء سخيفة . . . وعلى كل حال ، إذا كانت زيارته السابقة قد تعقت على الكونتنس دى رستو ومكسيه دى ترائى ، فزيارته هذه

أخذت المراكز داجودا من ورشة كان لا يدرى له منها غريبا .. فقال البرتغالي وهو يبادر إلى باب الصالون في شيء من الالفة :

— وداعاً الآن إذن ..

فأجابته الفيكوتنس وهي ترشفه بنظرها :

— بل إلى اللقاء هذه الليلة .. ألسنا ذاهبين إلى المسرح ؟

— أظنني لا أستطيع . !

فنهضت الفيكوتنس وناذته ليقرب منها ، غير مقلية بالآلة الميخينة الذي وقف بجوار الباب يتأمل ما حوله من طنافس وديش لم يكن ليحلم أنها يمكن أن توجد ، وهو في الوقت نفسه لا يدرى ماذا يصنع بنفسه في حضرة هذه السيدة وهي لا تلفت إليه

وأشارت الفيكوتنس بسبابتها إلى المركز إشارة لطيفة ليحتل مقعداً .. وواجهاً لها .. وكان في هذه الإشارة من السبقرة العاطفية ما جعل المركز يترك مقبض الباب ويجلس حيث أشارت فرمقة الميخينة بنظرة لا تخلو من حسد وهو يقول في نفسه :

— هذا إذن هو الرجل صاحب العربة الفارغة والحياد العناق ! أحمق لرام إذن أن تكون للعره جبال من الذهب حتى يضطر بنظرة من امرأة باريصة ؟

وشعر بشيطان القرف يلدغ قلبه ، ويحس العذوح والنامع تسري في دمه ، وبالطبع إلى الذهب بنفس به حلقة ، فإن آله يشكون مرارة الحرمان لكي يوفروا له ذلك العيش الكفاف في باريس . ولكن المفارقة السريعة بين حاله الراهنة وبين المثل الجسيم الذي يشهده والمخاض أمامه في هذه الساعة جعلت الغنوط يستولي عليه فيهب وظل قائماً حيث هو أما الفيكوتنس فقالت للبرتغالي وهي تضعك :

— ولماذا لا تستطيع الحضور إلى المسرح ؟

— لدى أعمال ، وسأعشى على مائدة سفير إنجلترا

— استأذن إذن عند حلول الموعد وتعال

وعندما يضطر الرجل إلى الحذف يأتى نفسه وقد جرته الأكاذيب الأولى إلى ساحة من الأكاذيب . فقال للمركز ضاحكاً :

— أنصرتين ؟

— طبعاً

— وهذا ما كنت أريد أن أسمعه منك

وتناول يد الفيكوتنس فقبلها وانصرف. وعبث الميخينة بأصابعه في شعره وتنهأ لاجبة الفيكوتنس وقد ظلتها فرغت له ، ولكنها انتفضت وأسرعت إلى الرعدة ، ثم جرت بنحو النافذة وأطلت على المركز وهو يركب عربته ، وأصاحت السمع قنناً إلى أذنها الأخر الذي صدر إلى السائق :

— إلى دار السيو دي روشفيد

فكانت هذه الكلمات هي البرق اللامع والماعة اللقطة على هذه المرأة التي شعرت في هذه اللحظة أنها فريسة آلام نسيبة لا تقل تبريحاً عن حشرة الزرع . فمثل هذه الحنة هي أقصى ما يلي به أهل هذه الطبقة العالية

ودانت الفيكوتنس إلى مدعها فجلست إلى نضد وتناولت صحيفة من الورق جميلة التزيين ودفعت عليها هذه السطور :

« مادمت مستعشى عند آل روشفيد لاقى السفارة البريطانية في عطفك لي تسيير هذا السلوك ، وإن في انتظارك ،

وبعد أن سلحت بضعة حروف خرج بها اختلاج يدها عن قلمها وقت الرسالة يعرف ك ، المختصراً لاسمها وهو كبير دي برجول ، ودفعت الجرس فحضر الوصيف لائق فذات له :

— اذهب يا جاك في منتصف الساعة الثامنة إلى قصر مسيو دي روشفيد واطلب مقابلة للمركز داجودا . فإذا كان هناك فسلمه هذا الخطاب ولا تطلب عليه رداً . أما إذا لم تجده هناك فعد إلى الخطاب

— في الصالون شخص ينتظر سيدتي الفيكوتنس

— آه ! هنا صحيح

ثم دقت بيدها باب الصالون ودخلت



— لابد إذن أنك سببت لها بزيارتك هذه ضيقاً
— أجل . فأنا كما تعلمين ربنى غر جدير أن أغضب منى جميع الناس إذا لم تستعفى بعمودتك
وارشاداك . وبغزل إلى أنه من المتعذر أن يجيد الانسان في باريس كلها امرأة شابة جميلة ثرية
أنيقة غير مشغولة بفرام يستغرقها ، وأذا كما تترين في حاجة إلى امرأة هذه صفاتها أنعلم على يديها
ما نسونه علم الحياة . فاني أجدها ذهبت شخصاً من طراز مكسب دى ترى . ولهذا لجأت
إليك لأسألك حل لنز أعماني ولأعرف منك كنه الحظ الذي ارتكبته . فقد تكلمت هناك عن
رجل يدعى الأوب ...

وفي هذه اللحظة قطع بك الوصف عبارة الفنى معلناً :
— الدوقة دى لا نجيه !

فقامت الفيكونتس لتزحف بالدوقة وكادت مصاختها دليلاً على أخوة لا يمكن أن يكون هناك
ما هو أغلى منها أو أخلاص ، فقال الفنى في نفسه :

— يا لها من صديقتين ! وأحبب هذه الصداقة متبعة في مرشدتين لا واحدة ، فلهما
ولا شك ذوق واحد وعواطف واحدة بحيث يكن اهتمام احدهما في كسبهم إلى الأخرى أيضاً
وفالت الفيكونتس لزارتها في لهجة مرسولة :

— أى غاية ميمونة مباركة أناأت لي أن أسعد برويك الآن يا عزيزتى اعطوانيت ؟
— لقد رأيت المركز داجودابتو داخلنا عند السيدو دى روشفيد فسبق لي ظنى أننى
سأجده وحده !

ولم تعترض الفيكونتس ولم تهز فيها شمرة ولم يمر وجهها ، بل أن جبينها بدا كالو
كان قد ازداد اشراقاً على اشراق ، واستطردت الدوقة وهى تنظر إلى الجينين :

— ولو كنت أعلم أننى سأجده مشغولة ...
فالتت الفيكونتس :

— هذا السيدو الجينين دى راسنتيك ، من أبناء عمومى ، وهل لديك يا عزيزتى أبناء عن
الجزال موتريغو ؟ لقد قيل لي أمس إنه قد انقضت أخباره عن المجتمعات ، فهل هو كان لديك
الروم أيضاً ؟

فطعرت الدوقة بالملحة ، لأنها عاشقة مدلهة بالجزال الذى شاع هجره لها في المدة الأخيرة .
ونفزع وجهها وهى تحيب :

— لا أشك يا كلارا تجهلين أن عقد خطبة المركز على الآنة دى روشفيد سيعلم عدا
رسمياً

فكانت الضربة هذه المرة من الشدة بحيث ترنحت تحتها الفيكونتس
— هذه أراجيف يتصدق بها البلاء ! فلهذا يهدى للمركز إلى قوم مثل آل روشفيد

الدرس الأول

— عفوك يا سيدى ، فقد كان على أن أكتب كلمة صغيرة . أما الآن فأنا ومن اشارتك
ولم تكن نفقه ما تتول لفتي لأن لسان حالها كان ينى شيئاً آخر مؤداً :

— هو إذن ينزى أن يتزوج الآنة دى روشفيد . ولكن أهدر حتى يغفل ذلك ؟
سيعظم هذا الزواج في هذه الليلة ، أو ... ولكن لا محل لاحتمال آخر
وأجاب الجينين على عبارتها المنطوقة قائلاً :

— يا بنت العم ...
— هيه ؟ !

ورشفته بنظرة باردة كالثلج فأدرك مقصودها فبادر إلى اصلاح خطه وقد تضرع وجهه :
— سيدتى ... اغفرى لي ، فاني في حاجة إلى حمايتك ، وفي الشهور بقرابتك منى ما يمشرن
بهذه الحماية

فابتسمت الفيكونتس دى بوسيان ، ولكن ابتسامتها كانت عليها إشارة من الحزن ودلت لفتي :
— حسناً يا ابن العم ، فم عانى أكون ناعمة لك ؟

— وهل ترائي أعلم ؟ فإن مجرد قرائن منك ، ولو من بعيد ، تكفى لتزويدى بثروة طائلة
من الأعياد الاجتماعية ، ثم أنت الشخصية الكبيرة الوحيدة التى أعرفها فى باريس ... وفى
نفسى أن أطلب إليك شرف الاتصال الدائم بك ، فأكون أكرم لك من ذلك ، وأطوع لك .
بنائك ، وعلى استعداد دائم للموت في سبيلك

— وهل أنت مستعد لقتل انسان من أجل ؟

— بل اثنين

— يا لك من طفل ! أجل ، أنت طفل لا تزال

وسعت قطرات من الدمع خاتنها خلسة واستطردت :

— ... ومثلك يعرف كيف يجب بإخلاص !

— آه .. بهذه المناسبة ، فلفت نظري في حفاكك الراقصة سيدة تدعى مدام دى ريتو ،

وقد زرتها هذا الصباح

فابتسمت الفيكونتس وقالت :

اسمها - أليس الأسماء وأعرقها في بلاد البرتغال ، وآل روشفيد لا ترجع نبالهم إلا إلى أوس القريب ؟

— ولكن برت دي روشفيد سيكون لها دخل يبلغ مائتي ألف فرنك سنوياً
— الماركيز أضخم ثراء من أن يفهم وزناً لهذه الحبة
— ولكن لا تنسى يا عزيزي أن الآنة دي روشفيد ساحرة بإهرة الجلال
— آه !

— وهو القلة يستعني على مائدتهم بعد أن تم الاتفاق على جميع الشروط ، وإنه ليدعني ألا يكون لديك علم بالأمر
فالتفت الفيكونتس إلى إيجين لتفيد بحري الحديث وقالت :

— هذا القبيح حديث عهد بالجنس يا عزيزي اضطوانيت ، فلترجى هذا الحديث إلى العد رقفاً به لأنه لا يفقه فيه شيئاً . فإذا كان القند فان الخافى من الأمر سيطن ولا يحتاج إلى كلام والآن تخبرني يا ابن العلم أى خطأ تورطت فيه عند مدام دي ريسنو ؟

— إنني يا سيدتي بعد أن نجعت في كسب مودة الكونتس دي ريسنو ، خطر لي أن أذكر له والكونتس أنني أعرف شخصاً كنت رأيته خارجاً من السلم الصغير لقصيرم بعد أن لمحته يقبل الكونتس في دهليز ممر
فصاحت السيدتان في نفس واحد :

— ومن هو ؟

— رجل شيخ يعيش في خان متواضع أنزل فيه أنا ، وهو متثال لللبؤس والمزء ، ويدعوه عارفوه على سبيل الزبانية « الآب جوربو » ...

فصاحت به الفيكونتس :

— أيها الضال الفير - إن مدام دي ريسنو كانت تدعى الآنة جوربو ...
وقالت الدوقة :

— فهي ابنة صانع الطرية (شمعية) جم ثروة في غفلة من الزمان ..
وهفت الشاب وقد بدت عليه الدهشة المائلة :

— أهو أبوها ؟

— نعم . فقد كانت له فتاتان ، هو بهما مفتون مجنون ، مع أنهما أنكرتا وتكرتا له ...

وقالت الفيكونتس للدوقة :

— أليست الأخرى متروجة من صاحب مصرف له اسم ألماني ، أغنسه البارون دي توبسنيجن ؟ وأليس اسمها دلفين ؟ وهي شفاء لها مقصورة في الأوربا وفي الأوربا الإبطالة ،

وتعجك بصوت مرتفع جداً لتلفت إليها الأنظار ؟

— يا لدا كرتك الدهشة ! وكيف بالله تشغلين رأسك بهؤلاء القوم ؟
أما القبيح فجل يردد كالحطاب نبيه :

— أنكرنا أباهما وتكرنا له ...

فقال الفيكونتس :

— أجل تنكرنا لهذا الأب الطيب الذي منع كلا منهما أكثر من نصف مليون بائة ، غير مبق لنفسه سوى عشرة آلاف فرنك إيراداً سنوياً ، ظناً منه أن بنتيه ستكفيانه فل الحاجة ، وأن له في بيتيهما بيتين لا واحداً ولكن ما انتفضي المامان حتى أومسد دونه اليابان !

فترقق الدمع في عيني الشاب ، وأنتأت الدوقة تقول :

— هذا محزن حقاً ، وإن كان يتكرر كل يوم .. وإنى أذكر قصة هذا الرجل فقد كان رئيس حرقه أيام الثورة الكبرى ، فاضل بالساسة وذوى النفوذ ، وتاجر في السوق السوداء وجعل يبيع الدقيق بمشرة أضعاف ثمنه .. ولكن هذا الرجل الذي نسا قلبه حتى باع الثورت لقمع الجائع بشمن اعتصره من دمائهم ، كانت له في الحياة غاية واحدة ، هي رفع بنتيه إلى أعلى الدرجات ، وتوفير أسباب الشعة لها بأي ثمن .. ولكن ما إن تم الزواج حتى ضاقت زوجها بهذا الشيخ السوق ، وأذعنت البنات فأشارتا إليه ألا يحضر إلا في الأوقات التي لا يزورهما فيها أحد بحجة التمتع بمجالسته على إفراد فلا يفسد الناس عليها هذا المتاع .. وفهم الرجل فيما اعتقد ولكنه طوى كبريته على قلبه الداي وسكت إيثاراً منه لتوفير السعادة العائلية لبنتيه ، فأصبح لا يزورهما إلا متخفياً متوارباً بالهدران وصاعداً من سلم الخدم .. فلما رأى بنتيه قد مكنتا من هذا فرقت عنه لأنه أدرك أنه خيراً فقل ، وهكذا بذل هذا الوالد كل شيء لبنتيه ، بذل لها أعضاء طامعاً عن طيب خاطر ، ونزل لها من كل ثروته بين يوم وليلة ، ثم نزل أخيراً من مجرد الزهو بهما ، وهو يوشك أن ينزل حتى عن رؤيتهما .. !

فالتفت الفيكونتس :

— ألا ما أخس الدنيا !

فأجابتها الدوقة وهي تتناول يدعا هامة بالأصراف :

— كلا ! إن الدنيا هكذا ، فعل من يطلبها أن يقبلها على علائها ... !

فلما خرجت الدوقة التفت الفيكونتس إلى الشاب وقالت :

— اسمع يا عزيزي : خلف الدنيا يا حي .. فإذا كنت ترمي إلى الغنى والتجاسق فاني معيذك من طيب خاطر .. وستري حين تنجاب الفئاع مبلغ الفداد ، فناد النساء وفناد الرجال على السواء .. وكنت على كثرة ما قرأت في كتاب الحياة جالعة يبعث صفاءه ، ولكي لا لا له

عرفت ما لم أكن قد عرفت ! فلنجاح في الدنيا يكون على قدر التجرد من مزايا الرحمة والنجدة
وعرفنا الجبل . كن غاسياً وغدا مجرداً . من الاخلاص تنفذ الى أهدافك نفراً ، ولذا اختار قلبك
بشعور صادق خذار ثم خذار أن نعلم على حقيقته مخلوقاً ، لأنه سيكون قطعة الصف التي توثق
منها .. فهل جال بذمك ان التمسك لوالده هو جرعة الفتان الكبرى ؟ انك إذن على خطاً
كبير فانه امر من تنكرها لأبيها تلك المنافسة الحامية المولس الناشبة بينها الى غاية من
التلغض والشحناء .. فلكونت دى ريسو عريق في البالية ، وزوجته قدمت رسمياً ملكة خدات
بذلك على اعتراف بها صريح .. أما أختها الثرية الحسنة ذاتين دى نوسيتين فهي امرأة رجل
من رجال المال ، ولكن خزنها لا يبعده حزن ، والمغيرة تأكل حشاشتها أكلا ، لأنها من
الرجمة الاجتماعية دون أختها بفراسخ .. فليس زوجها نبيلاً مرفهاً ، وهي لم تدع الى البلاط ولم
تقدم الى الملك ، ولا تنفع لها هذا السبب أبواب الأوساط العليا ، فالأختان لهذا متباذلتان ،
تتشكر الواحدة منهن للأخرى تنكرها لأبيها .. وإن دلفين لعل استعداد أن تلقي كل الوحل
الناشر على الطريق بين بينهما شارع سان لازار وبين هذا شارع دى جريول ، في سبيل
أن تحظى بالدخول الى صالونى .. وقد نلت أن صاحب دى مارساي صيدل بها الى ماشى
ولكن دى مارساي يلوي بها ويتنعم بتعاسفها ولكنه لا يأبه لما في الحقة .. وهذا
جعلها تلاحقه حتى أمته ، فإذا أنت قدمت الى وأدخلتها بيتي صارت أمة لك ، ولدى مستعدة
من أجل خاطرك أن تستقبلها في حفلات العامة مرة أو مرتين وإن أفرأها السلام ، فأنت قد
أوصدت في وجهك باب شقيقتها الكونتس دى ريسو يديك ، وتبقى أنك لن تجدها في بيتها
في أى وقت ذهبت .. فأجعل الأب جوريو يعرفك بأخته الحسنة مدام دلفين ، ومن حصلت على
قلبها بتدبيرها الى ، تهاوت منافستها على التزاعك منها ، وستلاحظ أن أشد هؤلاء المنافسات
حاسة من أشدهن ارتباطاً بها بأوامر الصداقة .. فالعلاج عند واحدة هو مفتاح النجاح
الدائم ، فالباريسيات لا يفتن الا بما في حوزة الأخريات ، أما الرجل الذى لا يريد امرأة فلن
يجد امرأة تريد .. فليك بالبارونة دلفين ، فليكن هذا تنفع انفسك أبواب مخادع أحسن
الباريسيات ، وتنظم في نفس الوقت من أختها أوجه انتقام ، لأنه ليس أشد إعطاة لها من
دخول شقيقتها في الأوساط التي تحب أنها اغتردت بها دونها .. ولأن اذهب يا عزيزي
استعد لهذه الموقعة الأولى في سبيل الظفر بتناعم باريس . . .



مفرق الطرق

خرج الميجن من لندن الفيكونتس مستثار الغضب ، ترن في أذنه كلماتها :

— لقد أوصدت في وجهك يديك باب الكونتس دى ريسو أبداً الدهر !
فجعل يقول لنفسه :

— سأذهب الى دارها ، وإذا انضج لي أن الفيكونتس دى بوسيان على حق ، فأقسم
لأنفس من الكونتس دى ريسو أيما انتقام . ستجدني في كل صالون تدخل اليه ، وسأقن
الراية حتى أدل لها مكسبها هذا الذي تتدله فيه
ولكن صوتاً من أعماق سريره هتف به :

— واللال يا صاح ؟ من أين لك به ؟

ولمت أمام مخيلته تلك الغضامة والأبهة اللتين تعيش فيها الكونتس دى ريسو ، فقال
لنفسه بمرارة :

— فوتران على حق ، فالنزاه هو الفضيلة الوحيدة في باريس !

وما بلغت به العربة النزل ، حتى صعد الى حجرته مسرعاً ليحضر لائق العربة عشرة
فرنكات ، ثم دخل الى ماعة المائدة ليجد فيها النزاه مجتمعين ، وبادره فوتران بالهجة
ساحرة :

— أراك مكثيفاً يا سيدي الركيز ...

— لست في حالة تسمح لي بتعمل دعابات من يروق لهم أن يدعوني « سيدي الركيز » .

فكس يكون المرء مركزاً ، لا بد له من مائة ألف فرنك دخلاً سنوياً ...

— الملك فائر الأعصاب لأنك لم توف لي الكونت دى ريسو ؟؟

— لقد أوصدت في وجهي بابها لأن قلت لها أن أبها يأكل على مائدتها ...

فتبادل الصاعون جيماً النظرات . وأغضى الأب جوريو قليلاً ثم مسح عينه وقال لجساره
على اللاتة :

— لقد أقيمت طباقي تدخيتك في عيني

فصاح للميجن :

— كل من تعرض للأب جوريو يسوء سيتعرض لنفسي ، فالرجل خير منا جراً

فاعترضه فوتران بقوله :

— ينبغي لك كي تستطيع حماية الأب جوريو أن تدفن استخدام السيف وإصابة الهدف بالسيف

— وهذا ما سأفعله فعلا

— يبدو أنك قد أعانت اليوم الحرب على الكافة

— ربما . ولكن لت مشغولا عن هدم حباب لأى أحد

فبدا الجور مكهرا ، ولذا انجذب بالصمت . ثم همت مدام فوكير لاطالب الشاب في دهشة :

— هو إذن والد كونتس فعلا ؟

— وبأرونة أيضا

فعاث طالب الطلب بيان شوبه على ذلك بقوله :

— لست أستغرب هذا ، فقد غصت رأسه ولم أجد فيها إلا وظيفة واحدة هي وظيفة الأوبة ، فهو ه الأب الأبدى .

ولكن المبحين لم يطرب للنكتة لأنه كان مشغولا بمراجعة إرشادات الكونتنس دي بوسيان وبالتساؤل عن الطريق الذي يحصل منه على المال

وبدأ الطامعون ينصرفون حتى بقي وحده مع الأب جوريو ، الذى سأله لجأه بصوت غلغل :

— لقد رأيت ابني إذن ؟

فألقى الشاب من شروده وتناول يد الشيخ فنامله بحنان وأجابه :

— انت رجل شهم كريم النفس . وستشككهم عن بنتيك فيما بعد

ثم نهض فتوجه إلى حجيره حيث كتب إلى والدته خطاها يتوسل اليها فيه أن تتدبر بأية وسيلة لإرسال ألف ومائتي فرنك دون علم والده لكي يتقرب بها نفسه وشرف اسمه من ورطته وقع فيها ، ولم ينس أن يلوح لها بالانتحار في حالة تأخر ورود المبلغ . ثم كتب لسكران من أخته يطلب اليها أن تسلمه بمخدراتها الشخصية الضئيلة بعد أن ضرب لها على رقعة الشرف الرقيق الذى ينبغي أن يسلم من الأذى

فلما قرغ من الكتابة شعر بالحجل والندم . فهو يعلم أن حالة الأسرة المالية في غاية من السوء . ويعلم كذلك أن والدته ستحزن حزنا مميئا إذا أمجزها أن تدبر هذا المبلغ كله . ثم إذا هي وقتت بعد لأى ، فما الهدف الذى من أجله استغل عاطفتها النبيلة وتضجرتها الهائلة ؟ في سبيل الوصول إلى غاية ثقافتها من غايات باريس اسمها دلفين دي بوسينجن وترقرقت في عينيه قطرات قليلة من الدمع ، هي حبات البخور الأخيرة التي أحرقها هذا

اللقى على قنق الأسرة القدس . وكان ياب عرفته مفتوحا فركاه الأب جوريو على هذه الحالة فدخل عليه وقال له :

— ماذا بك ياسيدي ؟

— آه يا جارى العزيز ! لى ابن وأخ كما أنك أب . وأنا أدرك شمورك بالقلق على ابنتك الكونتنس انتتازى ، فهي ألوبة بين بدى بتلوق بدعى مكسب دى ترازى ، سيبدى بعادتها

فالتعب الأب جوريو وهو يتم أنفاسا لم يستطع لمبحين أن يبين كنهها

وق اليوم التالى ذهب راسينيك فادوخ الخطابات صندوق البريد . ونصفه فنقول أنه تردد أمام الصندوق لحظة قبل أن يلقى فيه بالخطابات وهو يقول لنفسه :

— سائل ! سأنتج ..

ومى كلمة الطامع ، وكلمة الفائدة ، وكلمة كل مقدم على مغامرة . وكما أضاءت من رجال يريدون كثيرا على من وصلت بهم إلى ضاىء الأمان ...



ويدعو أن تجارة الغلال قد استولت على كل ملكات الرجل فهو خيرياً نوعاً ما ومزق حفظها من الثلب ومصادر استيرادها بل وكانت له القدرة على التنبؤ بما ستكون عليه المحاصيل من وفرة أو قلة . فهو في هذه القنون كلها بحر زاهر لا أول له ولا آخر يكاد من يراه يدبر دقة أعماله أو يناقش فيها يحبه أهله للتدبير في دست الوزارة . ولكنه متى خرج من هذه الدائرة وعاد عتبة دكانه التي كان يقضي عليها معظم أوقاته متكئاً بكفئه الى عارضة بابها ، انقلب سوفياً جلقاً جاهلاً لا قدرة لديه على متابعة استدلال ، ولا حس لديه للذات التفكير والروح ، فهو إذا ذهب الى المسرح غطى في النوم

أما أسرته ، وهي الابنة الوحيدة لزارع عى فكات لها لديه مكانة تكاد تكون فيها أقدسية من قدسات الكنيسة ، فهو يحبها حباً لا حد له لأنه تنشئ فيها الرفقة والفؤدة والحاسبة والجمال ، وهي صفات هو في أشد الحاجة إليها . ولكن زواجهما لم يدم سبب سبب ترمل بعدها جوروي خزن عليها حزناً شديداً وبدأت عواطفه الزوجية تخطي السبيل لمواطف الأبوة نحو بنتيه

وتقدم إليه كثير من التجار ليصبروا إليه طامعين في تزويجه إحدى بنتاهم ولكن الرجل آخر التزل برأ بنتيه واكتفاء بهما ، وقبل هذه المناسبة أن الرجل كان قد أقسم لزوجته على الوفاء وأنه حرص على البر بقسمه حتى وهي تحت الثراب

وطبيعة الحال كانت حرية البنين شيئاً لا منطقي فيه ولا ذوق : فهو غي جداً ولا م له في الحياة إلا لتدليل البنين والاستجابة لأي رغبة تخطر لاحداها بغير تردد أو مناقشة . ولكنه جلب لها خير الأساندة واستخدم لها مراقبة ممتازة علمتها آداب المجتمع على أحسن وجه . وفيها عداها كانتا تفتشان الوقت في امتطاء الجياد والتفرغ في العربية الفاخرة التي اشتراها لها جوروي ، فكأنهما في الواقع عشيقتا نبيل طامع في السن . فبكي أن تعذب الواحدة منهما أي شيء لثلاثة في اثني تعذب قبله أو ملاطفة بسيطة . فلذلك كان مجيئها إلى درجة التلذذ بالألام التي كانت تسببها له

فلا غرو إذن وقد بلغنا سن الزواج أن يكون لها الرأى الأول والأخير في اختيار زوجها ، مع الصريح بأن كل واحدة منهما ستال نصف ثروة أبيها بائنة لها يوم زواجهما . فلما أغرم الكونت دي ريسنو بجمال السناري ، وكانت الفتاة مغرمة بالأبهة والارستقراطية ، هذا لم يردد له قبوله والانتقال الى محيط الطبقة الراقية . أما لافين فكانت تحب المال . لهذا تزوجت من نوسينج الصرقي الأساسي الأصل . وأما جوروي فبق صانع لمطربة ، ولكن زوجي بنتيه استنكفنا من هذا فألح عليه باعتزال المهنة التي كانت حباية كلها . فأذعن الرجل بعد خمس سنين مع فيها ثروة تكفل له دخلاً سنوياً يصل الى عشرة آلاف فرنك ، ثم أقدم في شأن فوكير بعد أن وجد بنتيه تضيقان به ، بل تضيقان بزيارته لها في أوقات الاستقبال

والدوما ولد!

وبعد بضعة أيام توجه ليجين إلى دار مدام دي ريسنو ولكنه لم يقتر بطائل ، فقد قيل له منذ أول وهلة أن الكونت والكونتس ليسا في البيت . وأعاد الكرة بعد ذلك ثلاث مرات ليحصل في كل مرة على نفس النتيجة مع أنه حرص على التوجه للزيارة في الساعة التي لا يكون فيها مكسب عند الكونتس

إذن فالكونتس دي بوسيان كانت على حق . وقد أزعجه هذا كثيراً وعكر صفوه فلم يعد هذا الطالب يطلب من العلم شيئاً : فهو يذهب الى المحاضرات ابثبت وجوده عند ناداة اسمه ثم ينطلق لتوه متعباً نفسه بأن في الوقت متسعاً للاستذكار قبيل موعد الامتحان

وفي هذا الأسبوع زار الفيكوتس دي بوسيان مرتين ، ولكنه كان حريصاً على ألا يذهب إليها إلا بعد أن يرى عربة الماركرز خارجة به من بوابة القصر : فقد استطاعت هذه السيدة أن تعطل حلم غرامها أياماً أخرى إذ نجحت في إقناع زواج الماركرز من الأناستى دي روشفيد . ولكن الواقع أن الماركرز وانسياده الجدد أملاوا أن يجدي صلحهم مع الفيكوتس في تمويدها فكرة الزواج فتنتهى بالتسليم بالأمر الواقع

واستطاع ليجين أن يظهر نفسه لهما شديدة العطف والاخلاص وهي في حالة تمد أخرج الحالات في حياة الرأه ، ولكنه اجتهد في هذه الفترة أيضاً أن يدرس ميدان معركته القائمة دراسة دقيقة فاضل برجل يدعى « موريه » هو الذي اشترى من جوروي تجارتها وعرف منه جميع المعلومات للتسلية بحياة جوروي !

تعرف أن جوروي كان قبل الثورة الفرنسية عاملاً أجياداً في صناعة الأشرطة . وكان رجلاً ماعراً مقصداً حقيقياً ذووياً واستطاع أن يشتري من محطومه مصنع الصغير واستقر بقرسوق الغلال ، ثم سعى الى ترميم اتحاد حرفته . وبهذه الصفة استطاع الوصول الى أحباب الفؤدة في هذه الفترة المثقلة المحطمة ، فكانت هذه المحطمة هي السبب الرئيسي لا نراثة السريع : ففي الوقت الذي كان الناس فيه يقتتلون على أبواب الحيازين كان جوروي يحصل على فتح يبيعه بأسماع خيالية . حتى إذا كون رأس مال ضخم خرج من السر إلى الملن وقام بعملياته على نطاق واسع وبالجراء التي نتجها لأصحاب رؤوس الأموال الفخمة . ومن حسن حظه أن تراه القناحش لم يعرف أمره إلا بعد أن مرت « الفترة الحرجة » ولم تعد الأموال الضائلة تعبر الوبال على أصحابها

ونحن اتى حمالا كسيه ليصعد بهما إلى غرفته ولسكن فوتران قال له وهو يتجه نحوه بتعذ:
— أتعلم يا سيدي الماركيز المجل أن مائتته لى الآن ليس كلاما فى غاية الأدب ..
فأقبل راسيتيالك الباب وراءه بعد أن خرج متأثراً فوتران إلى المربع الذى يفعل فاعة
المائدة عن الطبخ والذى به باب يقضى إلى الحديقة ، وهناك قال الطالب على سمع من « سباني »
الطباخة :

— ياسيد فوتران ، لست مركزياً ولا أحب أن تدعوني بالماركيز
وقالت الآنة ميشونو معلنة :
— انهما سينتقلان
وصاحت فيكتورين وهى تنهض لتصل على الحديقة :
— هاتما تحت الزيفون ، ولكن الشاب السكين على حق !
فقال لها مدام كوتير :

— هيا بنا نعد إلى حجرة تايا ابنتى فهذه الأمور لانتمينا فى شيء
فلما أخذنا فى الصعود لبيتها الطباخة وقالت لها ان الرجين يعدمان تحت الزيفون .
فى هذه اللحظة ظهر فوتران وقال لصاحبة الخان :

— لا تغزعى يا ماما فوكير ، فأنى سأجرب ممدسى تحت الزيفون
فضمت فيكتورين يديها وتوصلت اليه قائلة :
— لماذا تريد يا سيدي أن تقتل السيد لوجين ؟

فخرج فوتران إلى الرواد خطوتين وعلق فى الفتاة وصاح :
— ماشاء الله ! وهذه حكاية أخرى ، انه لطيف هذا الشاب الجبل ، اليس كذلك ؟
لمرى لقد حبت إلى أن أسمى فى اسعادكما يا لطفى الجميلة !
وكانت مدام فيكتورين قد قبضت على ذراع ربيبها وجرتها إلى السلم وهى تهمس فى أذنها :
— الله ما أعجب أطوارك اليوم !
وصاحت مدام فوكير :

— لا أريد أن يطلق فى بيتى رصاص . أم تراك تريد ازعاج الجيران واستدعاء البوليس
فى هذه الساعة ؟

— على رسلك يا أمام !

ثم لحق براسيتيالك وتأبط ذراعه بنير تكليف وقال له :

وصول الممدد

وفى أواخر الأسبوع الأول من شهر ديسمبر تلقى راسيتيالك خطابين أحدهما من والدته
والآخر من شقيقته الكبرى ، وقد أخبرته أمه أنها دبرت المبلغ بمعونة شقيقتها ، فباعت الذى
كان القبة الباقية من بيرة الماضى لكى توفر له المبلغ المطلوب . ثم أخذت تنصحه وتوصيه
بالجد والاجتهاد لأن أمل الأسرة معقود عليه . فلما تلا القن الحساب خفته اليراث وتذكر
منظر الأبى جوروي وهو يصهر أدواته الفضية ويبعها ليمدد ديون ابنته ، وقال لنفسه :

— هاى والدتك تفعل فعله بجليها . ولا رب أن خالك قد ذرفت دمعا سجيناً وهى تبيع
شيئاً من ايقوناتا الذهبية . فأى حق لك أيها القن الزنق فى أن تدن استنازى دى ريسنو لأنها
تتصر دم أيها فى سبيل الأبهة أو لتشتري رضى عشيقها ؟

وأحس القن أن ناراً عرقه تستمر فى أحشائه ثم فتح الخطاب الآخر فوجد شقيقته تنبئه أنها
جعت مدمرها ومدمر أختها ومجوعهما للأمانة وخون فرنكا مضطبتين بما تعودتا أن تنزلاه
لفسهما من ملابس ...

فأحس ليجين أن كنوز الأرض جميعاً لا يمكن أن تساوى هذا الاخلاص البرى . ولكن
فكرة تجمع ألف وخمسمائة فرنك فى يده سكنت الآلام إلى كان يسببها له ضميره . وبدأ يفكر
فى الخياط الذى سيعمله ينافس مكسب فى الرشاقة والأمانة

وفى هذه اللحظة دخل رسول البريد إلى فاعة المائدة وسأل عن ليجين دى راسيتيالك ثم قدم
إليه كيتين تقاين وكراسة ليوقع فيها بالاستلام . فرشقه فوتران بنظرة غداة وقال :

— ما قد صار لديك متأخذ به دوسواً خصوصية فى السلاع
ومع المجالسون بالانصراف بعد انتهاء هذا المشهد ، بيد أن ليجين صاح بفوتران :

— أرجو منك الانتظار

— ولماذا ؟

— أريد أن أرد اليك قرصك الصغير

ثم قدم إليه عشرين سنتياً بعد أن أعلى مدام فوكير كراه الخان بضعة أشهر مقدسا . فقال
له فوتران :

— كفى بك لاتريد أن تكون مدنياً لى بشىء ولو كان ثاقفا

— أجل لا أريد ..

— هل أنت متأكد أنني إذا أثبت لك قدرتي على إصابة عجلة واحدة خمس مرات متوالية على بعد خمس وثلاثين خطوة ، سوف لا تخونك شجاعتي ؟ انك عصبي وتغفل إلى أنك ستقتل في أول جولة بكل سافرة

— أنت تراجع إذن ؟

— لا تمتحن صبري . هيا اجلس على هذا المقعد وأعزى سمعك فلدني ما أقوله لك ، فأنت في لا أدري لماذا أحبك . بل لعلي أدري ، ولأن غيرك يغاني ، فضع عودك على هذه المائدة وهدئ روعك حتى تحسن وزن ما أقوله لك ..
وفعل الجين كما أشار عليه فوتران ، وجلس مصغياً إليه بجميع حواسه



الدرس الثاني

قال فوتران :

— لعلك مشوق أن تعرف من أنا وماذا كنت أصنع أو ماذا أصنع الآن .. ولكن لا شأن لك بهذا ، فقد مارست الأيام وأمتحنى الأحداث بظلوب جسام .. حتى لم يبد تاريخي سوى ثلاث كلمات : من أنا ؟ فوتران ! وماذا أصنع ؟ ما يروني ! وما خليقي ؟ طيبة القلب مع العليين ومع من يحيل إليهم قلبي ! حل هؤلاء كل شيء ، يصفوني أو يركلونني في عظم ساقى ولا أنهارم .. ولكن إذا توسمت الشر في انسان فلن ينقذه من يدى أحد .. وليس قتل انسان عبثاً على ، بل هو أهون من قلامة شفر ، بيد أنني أحب إذا قتلت إنساناً أن أخذه كما ينبغي وبحسب أصول المهنة ، فأنا فتان في هذا الموضوع بل أنا أحب ائمهال وأنشده في كل شيء والحياة والموت بعد حظوظ وانفاق . وليست المبارزة الالعبة من ألعاب الحظ والمصادفة ، ثم هب أنك قتلتني ، وهو على تمزده ليس مستحيلاً ، فإذا تراك ستجنى ؟ إنك ستضطر إلى مغادرة البلاد والحياة في المنفى ويبدأ عذاب « بابا وماما » لتدبير الثقافات الباهضة في بلاد الغربية ، « وبابا وماما » ليست حالتها من اليسر والرخاء بكان ، فدعني يا صديق الصغير أبين لك موقفك الزاهي على حقيقته : لا بد لك من إحدى خطيتي لا ثالث لهما : إما الاستسلام لطر وفك القاسية وإما التردد ومحاولة الوصول الى شيء ذي خطر في هذه الحياة الدنيا . فهل تعلم كم يترك لكى تعيش العيشة التي تلمح اليها ؟ مليون فرنك دفعة واحدة ، وهذا المليون سأنتكفئ أنا بتدبيره اليك ! أجل لا بد لك من هذا المليون حاضراً .. فلو ذهبت تحصله بالعرف والأمانة وممارسة الماتون لما حصلت عليه أبداً ، فلا سبيل إذن أمامك إلا التردد والاجترار على القيم والأوضاع منذ الآن .. فأنت الآن في مفترق الطرق : إما الوصول والفتح والراهبة ، وإما لبقاء في الدرك الأسفل من المجتمع خاملاً محروماً . فإذا تزعم أن تصنع إذا فرغت هذه الألف وخمسةائة فرنك ؟ هل تعرف الطريق للحصول على المال في هذا البلد ؟ لا طريق سوى العبقرية والاصوصية . أما الصرف فلا سائل يمنحه لرجل عادي ، وإذا أردت نصيحتي ، فخير لك أن تكون لساً من أن تكون عبقرياً ! فالعبقرى مكروه ، عسود ، محود عليه ، لأنه مسدون غريب ، ولأنه لا يشارك الناس ولا يشاركونه ! أما الاصوصية فابست معدداً غريباً ، ولا تثير حقداً ولا كراهية ! انها السلاح الذي لا يحب ، فملك به ، لأنك إذا لم تستخدمه ، فلن تحظى به .

ان تحس بذوقه فوق وقتك .. ! سترى كيف تنفق زوجة الموظف التى مرتبه ستة آلاف
عشرة آلاف على زينها وتبائها وحدها ! سترى موظفين يتقاضى الواحد منهم ألفا ومائتى فريك
فى السنة ويشترى الضياع والبناج ! وسترى نساء يهدون عناقين فى سيبل الزكوب فى عربة
« ابن ذوات » ! ماذا كنت تريد الاثراء فلا تنفق بالضرريات الصغيرة .. بل عليك بالضرريات
الكبيرة .. واعلم أن قانون الأخلاق فى هذا النصر هو الوصولة ! فالوصول هو القصبلة
يا صاحبي ، والقفل هو الرذيلة والرجس الأكبر !

— ماذا ترى لى إذن ؟

— أرى لك أن تعمل بالافتراح الذى سأعرضه عليك الآن ..

— وما هو ؟

لدى فكرة متشكلة على دماغى ، وهى الحياة فى ضيقة واسعة يعمل فيها مئات العبيد فى
الدنيا الجليدية .. فأجمع بضعة ملايين من بيع التبران والطباق والأخشاب ، وأنا أعيش عيشة
السلطين ، أمرى نافذ وإرادتى مطلقة .. وأنا يا صاحبي شاعر كبير ولكن فضائلى ليست
كبايت منظومة وأنا فى عوامتك وانتمالات وأعمال ، ولست فى حاجة إلا إلى مائتى ألف فريك
أنى أريد أن أبداً مجامع عبيد من الزنوج حتى أوفر لنفسى تلك الحياة القليلة التى أحلم بها
فالعبد لى عزيزى محمول بسترى يأتى كل عام من ذراريهم أنصبل به ما أشاء دون أن
يكون لى وكيل يباية ان يتأدى عنهم حساباً ، ويرأس مالى هذا من الزنوج ينسرى فى العشر
ستين الأول ان أجي ثلاثة ملايين منهم أربعة .. حتى إذا انتهجت فى تحقيق ذلك لم يسأل انسان
من أنا ؟ فانى سأكون حضرة السيد المحترم « أربعة مليون » من مواطنى الولايات المتحدة !
وسيكون لى من العمر خمسون سنة . وهو ممر ليس منتهى الشيخوخة ، فنى مقدورى
أن أنفق بالحياة !

— ولكن أنا ، ما علائق بهذا المشروع ؟

— وصلنا ! إذا أنا بستر لك بائنة عروس قيمتها مليون من الفريكات ، فهل ترضى ان

تطبخى منه مائتى ألف فريك ؟ محولة عسرون فى ائانة ، فهل هذا كثير ؟ ان بتكلمك الأمر
بعد أن تكنت بطبقك وشبابك قلب عروسك سوى لنهار الفانى وشهود الذهن واشتماك
اليال خمسة عصر يوماً ، وذات ليلة ، بعد التيام بعض الحركات المسرحية تفضى إليها - فباين
فيلتين - بألك مدين بمائتى ألف فريك « يا حوسى » ! ونرى ان هذه الميزة تتكرر كل يوم فى
أروق الأوساط . وما من امرأة تقدر على منع كيبس قودها عن الرجل الذى استحوذ على
قلها .. وهكذا تكون قد بنيت فى ستة أشهر من الزمان صرح سعادتك وسعادة زوجتك
الشابة الرقيقة وسعادة بابا فورتان ، فضلا عن سعادة الأسرة التى تنبغ بالبهش الجلف فى ركن
من أركان الريف ! فلا تعجب مما أعرضه عليك ولا مما أطلبه منك ، فبين ستين زوجاً موصفاً

يقعد فى باريس سبعة وأربعون أساسها هذه المساومات

— ولكن ماذا على أنا ان أمتنع ؟

— تقريباً لا شئ .. اصنع الى : ان قلب الفتاة الفقيرة الكسيرة الحاطر مثله كمثل القطعة
من الاسفنج ، فهو أشوق ما يكون الى امتصاص الحب والامتلاء به أبناً وحده حوله .. فما
أيسر أن تطارح الهوى شابة مستوحشة يستولى عليها اليأس والفقر دون أن تدرك أى ثروة
يخبئها لها المستقبل .. حتى إذا هبشت الملايين على هذه الفتاة لم تنرد فى ملحها تحت قدميك
كأنها الأصناف التى لا قيمة لها وهى تقول : « خذها يا حبيبى ففى كفاها لك ! »

— ولكن أين أجد هذه الفتاة ؟

— إنها بين يديك

— الآسدة فيكتورين ؟

— بعينها

— وكيف ؟

— انها تحبك يا صاحبي منذ الآن

— وليكنها لا تحلك دافعاً ولا درهماً !

— ها قد بلغنا مربوط القوس ، فأعزنى صمكت يتضح لك كل شئ : إن الأب تايثير وغد
عقبن ، يقال إنه قتل بشرى أخته أثناء الثورة ، وهو رجل مستقل الرأي لا يتبع وزراً القيم
الاخلاق أمام رغباته الحامسة . وهو مصروف واسع الثراء وله ابن وحيد يريد أن يورثه كل
ثروته من دون فيكتورين . وهذا القس لا يروق لى شخصياً ، فأنا مثل دونكيشوت أنصهر
لقصيف من القوى . فإذا كانت ارادة الله العلى أن يسترد منه ولده هذا ، فلن يجد تايثير مناصاً
من أخذ ابنته فى أحضانها ، لانه لا بد له من وريث على كل حال . وفيكتورين حلوة رفيقة الجانب
لن تخفى .. أن تستولى على عقل أبينا وقلبه . وسيكون عصفك عليها وحبك لها أيام فقرها قد
أثرت فىها فنصر على الزواج منك . هذا دورك يا صاحبي وهو كما ترى سهل جيل ، أما دورى
أنا فما أصعب ، لأنى سأمثل العانية السعدانية ، وسأقوم بهمة افتاح المولى على باسترداد ابن تايثير .
فلى صديق من رجال الجرس موتوى به على استعداد للاقتحام على أى شئ ولو كان صلب المسيح
إذا أنا أمرته به . وسيستولى هذا الصديق اغراء الشاب تايثير بتعديده أو اهائته . ثم يحل
الاشكال ، وقى الفلال ، دون أن يدرك أحد كيف حل ...

— يا له فاعلة ! أخرج يا سيو فورتان ؟

— رويدك ! لا تنصع براءة العقولة . وفكر فى الأمر ملياً . فهو ليس على الظاهر من
بشاعته بأشع كثيراً .. من كباثر أخرى سوف تقدم عليها فى مقل حياتك خلى البال . ولا تخفنى
هل هذا شر من الاحتيال على غانية تبعتها ماء شبابك يوماً تحصل منها على المال ؟ ولا تحاول

تمام الابهة

وجعل القى ينظر الى العملاق وهو يبتعد عنه في هدوء وقد تأبط عصاه ، ثم هز رأسه وقال لنفسه :

— يا له من رجل صعب المراس ! إن ما قاله لى عن وسائل النجاح في الحياة لا يختلف في شيء عما قاله لى الفيكوتنس دى بوسيان إلا في الأسلوب وظاهر العبارة ، فهو إدارة ، متأفة أما هو فيأبى أن يعرض الحقيقة إلا عارية مجردة . ويحه ! لقد نبش قلبي بتغالب من فؤاد ! ولماذا — ليت شمى — أريد أن أعترف الى البارونة دلقين دى توستنجين ؟ لقد حرك الرجل بواعث ودوافعى ، وعرفنى من أمر الخير والشر ما لم تعرفنى به الأسفار الضخام والأساندة الأعلام

ورمق كبسى النفوذ اللذين أمامه على النضد في الحديقة واستعرد :

— ... وكأني وقد سرقت أختي هذا المال لأصرفه في اللذات . فأنا إذن قد جانبت طريق الفضيلة واشتهى الأمر ، وباعدت بيني وبين أهل الخير والبر ... ولكن ... من فأن الناس يبتسك بمجل الفضيلة ، وإن كانوا جميعاً يشهدون بها ؟ ومن طلب الجليل من الأمر لم يأبه أن يخوض اليه الأوبال ... ولكن لا ! وألف لا ! فأن أجل أن تتقدم بالمرء السن فيستعرض حياته أمام عينيه فاذا هي يضاء من غير سوء ، طاهرة كزنا ياق الحقل ! سأسلك الطريق الشاق الطويل ، طريق العمل الشريف ، فأنا والحياة مثلنا كمثل خطيين ، ينبغي أن يتصفا بالطهر ويتجنبنا كل ما يشين ، حتى تقوم الحياة بينهما على الاحترام للتبادل والعفاه الكامل ... وباه ! إن رأسى تدور ، فإدري أيان أسلك في شعاب هذه الحياة التي تبدو لي كالبه ...

وأخرجته الطباعة سباتي من صمته ، منبهة إياه إلى حضور الخياط الذي أوصاه أن يصنع له كسى لائقة لآخر غرار . فقام ليحرقها ، فلما لبس واحدة منها ونظر الى نفسه في المرآة قال :

— لقد أصبحت لعمرى لا أقل بهاء عن مكسيم دى ترمى ! فأن أبدو وجيهاً شريفاً في هذا الكه !

ولم يلبث أن دخل عليه الأب جورويو وحجته وقال له :

أن تنكر أنك فكرت في هذه الوسيلة وفي هذا العمل لأنه من أين لك أن تقدر النجاح في المجتمع والوصول الى الجساء من دون التعويل على بيع هوائك للشاه كما يتبع الماهرة هواها ؟ والفضيلة يا صاحبي لا تتجزأ ، فقلدى يبيع جسده والذي يهدر الدم البرى سواء في بعدها من مأزر الفضيلة الناصعة البياض . فليس بين الذى اقترحه عليك وما ستقدم عليه بل تنوى الاقدام عليه كبير فرق . فاما أن تتمسك بمبدأ الشرف والاستقامة ، فليك اذن أن تلبث حيث أنت ولا تنظر الى ما فوقك ولا تطمع في تغيير حالتك ، واما ان تطمع الى التمتع بالدنيا ، فغذاها اذن كما هي وتوسل إليها بوسائنها ، واعلم أنه ما من جاه طائل في هذا العالم الا وفي أساس صرحه الشامخ جريعة مستورة نسي الناس وزرها ووضعها بالذى يهرم من بذخ حاضرها وترفه — حبسك يا سبدي حبسك ! لا أرب له في سماع المزيد من اغوائك ، فقد أوشكت أن تنفنى عن نفسى وتشككني في وجود الماطفة الانسانية ، وهى اليوم حلى الوحيد ونفى القربد — أنت وما تريد أيها العقل الوهمي . لقد ظننتك أصلب عوداً ، ولكنك كلة أخيرة... وثبت عينيه في الطالب الشاب ثم استعرد :

— لقد كشفت لك عن سرى

— ان فنى لدبه من الصراحة ما يكتفى لرفض ما عرضت على قبلي أن ينسأ جملة ونفصلاً — أحسنت يا فنى ! ولو غيرى لما اطمان الى لفظ مصول . ولكنى أميل اليك ، ولهذا لا زلت أشح الأمر بين يديك ، وأمامك خة عشر يوماً تتدبر فيها فلما تنوب الى الصواب... واستدبره وانصرف



— لقد سألتني ياسيدي عن البيوت التي تتردد عليها مدام دي نوسينجين ...
— أجل ...

— لأنها ستذهب يوم الاثنين المقبل الى الحفلة الراقصة التي يقدمها للمارشال كاريلياو . فإذا كنت ذاهباً إليها ، فيستحي لك أن تخبرني كيف بدت بتأني فيها ...

— ولكن كيف عرفت هذا أيها الولد العزيز ؟

وأخذ بيد الشيخ فأجله قرب الدفأة ، فأجابته في سرور ظاهر :

— أقفست إلى يه وصيقتها ، فأنا أعرف جميع أخبار بيتي . من وصيقتها « تيريز » و « كولتانس » .

فكان الرجل الشيخ عاشق مدله لم يزل المحفلة ولكنه يتعلق بأخبار الحبيبة ويتسقطها من أفواه الخدم ! ثم استطرد الشيخ :

— إلى أعطيك ، فأنك أنت ستراها ...

— لا أدري ... سأذهب على كل حال الى الفيكوتنس وأرجوها في تقديمي الى المارشالة ...

وشعر الشاب بالسرور يداخله لفكرة مثوله بين يدي الفيكوتنس في زيه القشيب الأبيض ، فأثناء هذا الزهو كل ما كان يجيش في خياله من ندم وتأنيب ضيق ، ونسي عواطفه الطاهرة التي كانت تتجسم لفضيلة المذراء ! فما إن رأى عهه أيقظاً وجهها حتى هانت عليه كل هذه النظريات ، ورأى متاع الحياة وغرورها كفواً للخطيئة والرزلة . ألا ما أضغف الانسان !

وكان الجاران ، الشاب المجهنم والشيخ جوريو ، قد تقاربا كثيراً في الأيام القليلة الماضية ، لأن الشيخ قد أدرك بحاسة مجهولة لديه كحاسة الكلب حين يعرف صديقه من عدوه بنير تفكير . ولكن هذا التقارب لم يصل بينهما بعد المربة التكشاف بالمخايا ومكنونات الطوايا . فلم يمدته الشيخ عن بنيتي إلا فيما يتصل بما ورد على لسان الشاب على المائدة عقب عودته من زيارة الكونتس دي ريسو . فقد زار الشيخ الشاب في اليوم التالي وقال له :

— من أين أتاك يا سيدي العزيز أن الكونتس دي ريسو أعرضت عنك أو غضبت عليك لأنك ذكرت أمامها اسمي ؟ إن ابنتي تحبني كل الحب ، وإنني بأبوتها جديسيد . ولكن صهرى ما اللذان أساءا معاملتي وأشاعا عني وصداً مدوداً ، فلم أشأ أن أفكر صفوحاً ابنتي ، وفضلت التضحية من جانبي ، ورضيت ألا أراها إلا خلة . وهذا الاختلاس لمدة الحلال فيه من المنافع ما لا يحيط بهال الآباء الذين يرون بناتهم جهاراً . أما أنا فليس لي إلى ذلك سبيل . أتدري ماذا أسعدت اذن ؟ إذا كانا لحو سموا ذهبت إلى « الشاتيليزيه » . — بعد أن أكون قد عرفت من وصيقتي أنها ستذهبان الى هناك . — وأنتظر في الطريق لأراها حين تمران في عربتيهما الإطهين ، وزيتتهما الباهرة ، وأسعدا بانسامة تلقائهما إلى ، فتضي حياتي كأن شعاعاً من

الشمس قد دخل الى قلبي المظلم ! ثم أنتظر مرورهما مرة أخرى في طريق العودة ، لأسعد برؤيتهما مرة أخرى وقد توردا وجههما وأجدا عليهما النزهة في الهواء الطلق . وبداخلني الزهو والاضطراب حين أسعد من حول عبارات الإعجاب بهما وبجمالهما الفتان ! فهما لحي ودني ، ومن حبهما أحب الحيل التي تحملهما أو تنقلهما ، وأغني لو كنت الكلب الصغير الذي تحملانه فوق ركبتيهما فلم تمد لي حياة إلا حياتهما ، ولا متعة لي إلا أن أراها تنمتعان ... فكل امرئ له طريقته في الحب ، وتلك طريقتي ، ولا ضير منها على غلوق ، فلماذا لا يدعي الناس أمتاً في سريري ؟ فهل أفتأت على أحد يتسلى تحت جناح العليل كى أرى ابنتي في نحوه من الناس ، وما خارجان لحضور حفلة راقصة أو للذهاب الى الأوبرا ؟ وإلهما من مصيبة إذا وصلت متأخراً وقيل لي « إن السيدة قد خرجت » . فقد ظلت مرة في الطريق الى الثالثة صباحاً لكي أرى « نازي » . حين تعود من السهرة ، لأنني لم أكن قد رأيتهما منذ يومين ... ولكن ليالك أن تطن بهما الموجود ، فهما تريدان اغراقاً بالهدايا والأطراف ، ولكنني أنا الذي أرفض ، وأقول لها : « وفرا تعودكما . فإني بحاجة الى هذه الأشياء في هذه السن . لست بحاجة الى شيء » . وهذا حق ! فما أنا حتى يصيب المال في حوائجي ؟ ما أنا إلا جيفة لا قيمة لها في ذاتها ، لأن روعي موزعة على جسدي ابنتي هاتين ... وأرجو إذا أقيمت مدام دي نوسينجين أن تصارحني أي ابنتي أبهى جالا وأبعد حسناً ...

ولذا رأى الشاب يتأهب للخروج للنزهة في حداثتي الثوبلري حتى يحين موعد الفيكوتنس دي بوسيان ، استأذن في الانصراف وهو لا يزال يتنم حديثاً غامضاً عن بنتيه



خرج القى الى الثوبلري بقصد النزهة وقطع الوقت ، فكانت هذه النزهة هي القاضية على البقية الباقية من صوت الضمير فقد خفخته خفخاً ، فأت دون أن تتدعه نامة ! ذلك أن نقرأ من السيدات المتزهات هناك التفتن إليه معجبات ، لأنه كان غض الاحاب ، أيقظ الشاب .. فاستشعر من ذلك زهواً كأذ يخرج به عن ملوره ، ولم يعد لشقيقته ذكر في ذهنه المتفتي بهذا العصر السهل !

فلما قارب الساعة الخامسة ، توجه الى قصر الفيكوتنس دي بوسيان ، فوجد في انتظاره ضربة من تلك الضربات التي تعظم الآمال وتذل الكبرياء . فان الفيكوتنس التي كان يجدها على الدوام باسمة التفرح ، مهذبة ، حفية ، لقيته في هذه المرة بمخافة وضيق ، وقالت له في خشونة سافرة :

— يستحيل على أن أجلس إليك يا سيو دي راسيتياك ، في هذه الساعة على الأقل ، فأني مشغولة ...

وكان هذا حرباً أن يرد من بابها ، هذه الساعة على الأقل . ولكنه كان قد تعلق بالنجاح

وبدا في سلوك طريق « الوصول » ، ففنى من كبرياته ، لأنه كان مثلهما على الذهاب الى حقلة دوقه كارليانو بأى شكل ... فبلغ الاهانة وقال ليفيكونتس :

— سيدتى ، لولا أن الأمر يتعلق بموضوع عاجل هام ، لا أتيت إليك وأتقت عليك...
« أغفري لى ، واسمعى لى بفرصة أخرى ، أراك فيها ... فأتى مستعد للانتظار ...
نفت حدة ليفيكونتس شيئاً ما ، وقالت له :
— ليكن . تعال لتعشى على مائدة هذه الليلة ...

فلما كان المساء وجاء الى قصرها وجدها قد استردت اشراقها وورقتها ، فقادته الى قاعة المائدة حيث كان ليفيكونتس في انتظارها ! وكانت المائدة وأدواتها على مبلغ من الفخامة والترف لم يكن يحيط لفتى بيال ... فالعصر عصر الأناقة في الطعام ... هذا الى أن ليفيكونتس مغمود له بأن لذته الوحيدة في الدنيا هي الأكل ! فالتفت لها الزين ، مزية الكيف ومزية الكم في وقت واحد...
وقالت ليفيكونتس لزوجها أثناء الطعام :

— هل سنأتى معى الليلة إلى الأوبرا الإيطالية ؟
— ليس أحب إلى نفسى من هذا كما تعلمين يا عزيزتى ، ولكنى للأسف مرتبط بوعود آخر ... فهل « داجودا » ليس معك الليلة ؟
— كلا ...
— إذن خذى المسيو دى راستنيك معك ...
فظهرت ليفيكونتس الى ليفين وابست ...



في الاوبرا الإيطالية

وأقلته مع ليفيكونتس عربة أنيقة سريعة إلى مسرح الأوبرا الإيطالية . وما دخل وراهها إلى مقصورة من المقصورات الأمامية حتى وجد نفسه هدفاً للناظير الكبيرة التي سلطت عليه من كل صوب ، نظير إليه أنه في مملكة من الممالك المسحورة
وقالت له ليفيكونتس :

— اضل هاهى مدام دى نوسنجن في مقصورتها التي تبعد عنا بثلاث مقاصير ، أما أختنا السكونتس دى ريسنو ففى الجهة الأخرى وبجانبها مكسب دى ترائى
والواقع أن ليفيكونتس كانت تدرع القاعة بغطاؤها مظهرة عدم الالتفات إلى البارونة دى نوسنجن ، مع أنها لم تكن غافلة عن أى حركة من حركاتها . وأما الفتى إيفين دى راستنيك لم تكن له عينان إلا لتأملها والتعديق في عايشها ، وقد انصرف مصدر البارونة لهذا الاهتمام لفتى يديه نحوها ابن عم ليفيكونتس دى بوسيان الشاب الوسيم ذو الحبيب . بيد أن ليفيكونتس نبتة بقولها :

— إذا طلبت تركيز فيها أنظارك على هذا النجم أثرت فضيحة وادنا . وإن توفقت في الاجتماع إذا كنت عازماً على أن تلتى غشك على الناس القاء كأنك تسقط فوقهم من حلقى
— يا ليت المم . لقد بذلتى اللون وأحطيتى برماتك وجانيتك حتى الآن ، فهلا أتممت ضيعك لأتتى أرى قاي قد شغل هذه المرة
— بهذه المرأة ؟

— أجل ، والدوقة كارليانو ستستقيم حفلاً راقصاً ستحضره البارونة دى نوسنجن ، فأكون شاكراً لو قدتمنى القدوة كي تدعوني إلى حفلتها الراقصة ، فينبغى لى أن أقابل البارونة هناك وأضرب ضربتي الأولى

— ليكن ، فيظهر أنك ستوفى في هواك . فهنا دى مارساى صاحب البارونة مشغول عنها في مقصورة الأميرة جلانيون . والبارونة تنافى في هذه اللحظة نيران النيرة . وليست هناك لحظة أصح من هذه اللحظة للغرب من امرأة ، ولا سيما إذا كانت امرأة رجل من رجال المال ، فهاتيك النساء جيماً يحين الانتقام حياً جا
— وماذا كنت تفعلين لو كنت في مكانها ؟

— أنألم في صمت

— وفي هذه اللحظة دخل المقصورة الماركرز واجوداً فأعرق وجه الفيكوتس اشراقاً دل
إيجين على أنها تحب الماركرز حباً حقيقياً ليس من قبيل خلاعة الباربيسات ويجوهن الضائع .
وتخلى الشاب للماركرز عن مقدمه ، فأبتست له الفيكوتس شاكراً هذا الضيف الذي أمكنه
اللباقة . ثم قالت للماركرز عند انتهاء الفصل الأول :

— أظنك تعرف البارونة دى توسجين معرفة تسمح لك بتقديم السيد راستنيك إليها
— طبعاً . . وستسر كثيراً ولا شك معرفة الشغاليه دى راستنيك

وتهمز البرفالي الجليل فتأبط ذراع الشاب وصحبته إلى مقصورة البارونة ، فقال لها :

— لي عظيم الشرف ياسيدنى البارونة أن أقدم اليك الشغاليه إيجين دى راستنيك ، من
أبناء عمومة الفيكوتس دى بوسيان ، فقد كان تأثيرك فيه عظيماً بحيث جعلنى على أعقاب أسباب
السعادة له بتقريبه من موضع تقدسيه

فأبتست البارونة وأشارت إلى الشاب بالجلوس في مقعد زوجها الذي لم يكن حاضراً تلك
اللحظة ثم قالت له بألف :

— لا أجد لدى المرأة ياسيدنى كل مطلب اليك البقاء معى ، فإن الرجل الذى يعمده الحظ
يقرب الفيكوتس دى بوسيان لارضى عن قربها بديلاً
فهمس لها الشاب ضاحكاً :

— ولكن يبدو لي ياسيدنى أنني إذا أردت أن أرضى ابنة عمى ، فيجب أن أبقى
بجوارك . وقبل وصول الماركرز كنا نتحدث عنك وعن شخصيتك الممتازة
— استبق معى حقاً ياسيدنى ؟ إن هذا يسرن كثيراً لأن أختى الكونتس دى ريتو
أمرتك لدى كثيراً حتى أصبحت في أشد الشوق لتعرف بك

— لقد خدعتك إذن ، فهو قد حرمت على بيتها
— وكيف كان ذلك ؟

— سأروى لك السبب ، واستمعك المغو أن أفضى اليك بهذا السر . فأنا جار والدك
الفاضل في الخان الذى يقيم فيه . وكنت أجهل أن الكونتس دى ريتو ابنته . فبدري
دون قصد إشارة إليه بحسن نية أغضبت شقيقته وزوجها . وقد عجت ابنة عمى الفيكوتس
والدوقة دى لانجيه من العقوق . وسمعت بهذه المناسبة من الفيكوتس مقارفة طريفة بينك
وجيت شقيقته علمت منها مبلغ حبك وبرك بهذا الوالد الفاضل . ولست أدري كيف لاجب ،
ولاسمائك ، فهو يبدك حباً

— أشكرك كثيراً ياسيدنى ، وأحسب أننا ستكون من خيرة الأصدقاء

وشرعت البارونة لتفك سلك شقيقتها نحو والدها ، وكيف أنها فست شخصياً آلاماً جسيمة

حين حملها زوجها البارون على عدم استقبال والدها إلا في الصباح

— أنك ياسيدنى مثل الطيبة اللاتكنية ، وقد أعجبت بك قبل أراك لما سمعت به من قبض
الحبة النبوية . ولكن لم أكن أتصور أبداً أن يبرز جمالك الباهر صفات خلقك النبيل وقابك
الكريم . حتى إذا دخلت القيلة هذا المسرح ووقع نظري عليك لم أستطع أن أحوله عنك !
فاضطرت الفيكوتس إلى لنت نظري وصرفي عن التحديق فيك على هذا النحو . ولكنها
لا تدرى إلى أى حد تجتذب عاصيتك الأضمار . فهاتان العيتان الساحرتان ، وهاتان الشفتان
القرمزيان ، وهذه البشرة الناعمة البياض ، وهذه الفتنة التي تشع من كمالك كله ... عفوك !
إنى أهذى ، أعلم هذا ، ولكن دعيت بربك أمضى في الهذيان ، لأنه يخفف بعض ماينى من
الحيان

وليس في الوجود ماينشرح له صدر المرأة مثل سماعها عبارات التناه . فأشد النساء ووعا
وأعظمهن تقوى لانكسر هذا الحديث وإن حرم عليها أن تدعيب له . فغير غريب أن تتجمع
البارونة الشاب إيجين بأبشاماتها ، وهي تحتلئ الفطر في الحين بعد الحين إلى حيث يجلس
دى مارساي في مقصورة الأميرة جلانيون . وهكذا بقي الشاب في حضرتها يتلو عليها آياته
ويطلق البخور بين يديها إلى أن حضر زوجها البارون ليصحبها إلى البيت

وما لدى الشاب السكين أن البارونة كانت شاردة الذهن وهي تتظاهر بالإصغاء إليه ، وقد
كانت تنتظر من دى مارساي خطاباً من تلك الخطابات التي تحرق القلب وتفتت الأكباد .
ولكن التي الربى ظن أنه وجد حذوة لدى البارونة حذاءً صديداً ، فعاد إلى الفيكوتس مهتلاً
الأسرار ، فصحبها إلى عربتها ، ثم مضى إلى الخان وكأنه يطير في الهواء من فرط السرور
والاستبشار



أشجان والد

وما بلغ الفن الحان حق صعد السلم وتبأ ثم طرقت باب حجرة الأب جوو رو طرقتا شديداً ،
وما دخل عليه حتى ابتدره بقوله :

— لقد رأيت مدام دلقين يأجاري العزير

— أين ؟

— في الأوبرا الإيطالية

— وهل تمتعت بسهرتها ؟ حدثني عنها

ورقد الرجل في فراشه ، وسنحت لفق القرسه لسكى يرى الحجر الذى يمشى فيه والد ذلك
الذى يهرته منذ قليل بترفها وبذخ ثيابها وزينتها . فلم تكن على التوافد سنائر ، وآثار الرطوبة
تبدو واضحة فوق الورق البالي اللصق فوق الجدران ، والفرش الذى يرقد فيه الشيخ بعيد عن
توفير الراحة لجده الواهن ، والأغطية الفبلقة عبت بها يد البلى . فامتلا' الفن امتعاضاً واستغافاً
على الرجل . ولكن الشيخ لم يلحظ لحسن الخط ما ارتسم على وجهه ، لأنه كان عارفاً خواطره .
الذى تحوم دائماً حول بنتيه ، فسأل ابنتين في طيبة تقرب من البلاهة :

— أيهما وجدتها أقرب إلى القلب ، مدام ريسو أم مدام دى توسنجن ؟

— بل أفضل مدام دلقين لأنها تحيك حياً جا

فأخرج الشيخ ذراعه من تحت الغطاء وضغط على يد الشاب بحرارة وهو يقول له في
تأثر بالغ :

— شكراً لك . وماذا قالت لك عنى ؟

فأعاد عليه الفتى ماقلته ابنته عنه مزواً منقياً كي يجبر خاطره الكبير ، والشيخ مصغ إليه
كأنه يستمع إلى وحى مقدس ، فلما فرغ الفتى قال :

— أجل ، أن هذه الفتاة العزيرة تحبني كثيراً . ولكن لانصدق ماقلته لك في حق أحبتها
انتنازى . فالأخنان بينهما منافسة شديدة أيهما تحبني أكثر من الأخرى . وأنا أعلم من بين
أن مدام دى ريسو تحبني حياً شديداً ، فأنا أبوما وأعرف قليهما ، ولو كان لهما زوجان من
ذوى الخلوب الكريمة والمسررات الطيبة لكنت أسعد خلق الله . ولكن السمادة الكاملة لم
تكتب لأحد في هذه الحياة الدنيا . . . فقد كان يكفيني من الدنيا أن أعيش في جوارهما ، لالسى .



دوروث

دوروث والى للأب جوو رو : كيف تعيش في مثل هذا المكان ؟

إلا لأراما تفدوان وتروحان ، فأسمع صوتهما وأحس بأنس قريهما ... ولكن خبرني ، هل
كانتا في زينة مليية ؟

— أجل ... ولكن خبرني أنت ياسيد جوريو ، كيف تكون لك بنتان على هذا القدر
من الفنى ، وتعيش أنت في مثل هذا المكان ؟..

— وما حاجتي لى أكثر من هذا ؟ إن حياتى قد اختزلت في هاتين البنتين . فإذا نعمتا
بالحياة ، فأتى ناعم البال ، وإذا كانت لهما بسط من حرير ، فما يضربنى أن تكون أرضى عارية
ليس فوقها بساط . وإذا كانت ملابسهما من حرير ودمقس واستبرق ، فما يضربنى ماذا أكتسى
وأتى أشم رأسى ! فأتى وليم الحق لا أشعر بالبرد إذا ما نعمنا بالدفء ، ولا سبيل للأحزان
للى نفسى ماضعرا باليفر ... ولكنك لا تدرك معنى ما أقوله لك الآن إلا حين تندو أباً ،
حينئذ ستعرف قيمة النافه من بعام بنيك ، وستستبد بك الزهو لأنهم خرجوا من مصليك !
وستحس أن دمك يتحرك في عروقهم ، وأن الدم الذى في عروقتك يضطرب بأغصانهم ، وأن
أغصانك تتحرك بحركات جوارحهم ويخطو أقدامهم ... فتطرد حزن أو كآبة من إحدى هاتين
البنتين تكن لتجيد دى ! فكيف نأسى على حياتى ، وأنا رجل أحيى بهذا الحب الأسمى ثلاثة
حيوات لا واحدة وكفى ! أجل ياسيدى ، اتنى لا أعنى شيئاً سوى سعادة بنتى . فدلغني هذه
إذا وجدت رجلاً يسدها ويشعرها بالنشوة التى تحبها المرأة إذا شعرت أنها محبوبة ومثوقة
بإخلاص ... أقول اتنى مستعد أن أسمح بنفسى خذاه هذا الرجل .. وأن أكون له بمثابة
المخادم من السيد ! ولكن وأسفاه ! فقد علمت من وصيقتها أن هذا السيد دى مرساى إن
هو لا أكلمك حقير ، فهو يسومها عذاب المهجر ، حتى لقد ظم برأسى أكثر من مرة أن ألوى
عنته فأخذه يدي ! ياله من بهيم : أتمثل هذه الجوهرة الخلوقة بين النساء لانهب حباً ! إن صورتها
كفناه الليل ، وقدما كأنه زوج الفنان الكامل ... ولست أدري ماذا قام برأسها حتى رصبت
بهذا الألفراسى الكبير دى نونسجين بعلا لها من دون الرجال جيماً .. لقد كان يلزم لاسكاهما
زوجان طيبان جيلان لطيفاً العشر ... ولكنهما تصرفتا على هواهما ...



وكان الأب جوريو في « مرافقته » هذه دائماً في بلاغته ، لأنها بلاغة الحديث الصادق من
القلب نصاً . فما أقدر العواطف الصادقة على أحداث المعجزات ، فهذا الرجل النضر الكلام ،
الثقيل اللسان ، قد جعلت منه عاطفته الكبيرة إنساناً رائعاً وخليطاً مفوهاً ، فأطلق لسانه ،
وصار في نبرة صوته غنى ، وأشرق وجهه وخلفت له شخصية قوية من المدم ... فأخذ الفنى
بما رأى منه وما سمع ، فقال له :

— أظنه لا يسوءك أن تعلم أن مدام دلفين ستفزع صلتها بهذا السيد دى مرساى ، لأنه
تركها ليصل بالأميرة جالابزون ... وأتتى وقتت منذ الميلة في هوى مدام دلفين ... وأتتى قد

لقيت قبولاً لديها ، وأنها دعيت لزيارتها عصر السبت ، بعد غد ...

— لن نجد أحب لك مني ياسيدي إذا حظيت برضاها عنك ! فأنت طيب السريرة ، ولا أحببك ستسومها المذابح . أما إذا أسأت إليها فاني فأنك ! .. آه ! أراي أهرق ، نفقوا ... وماذا قالت لك عنى ؟ ..

— حملني إليك قبله ...

— يارواك الله ... طابت ليلتك يا جاري العزيز ، فالبرد في حجرى شديد ، وأراي أيقظك أكثر مما ينبغي ... فرافقتك السلامة ... وجزاك الله عنى خيراً ، فقد أسعدتنى بهذا الحديث عن أحب خلق الله إلى قلبي ... ولن أنسى لك هذا الفضل ، بل اني سأسعدك كما وقع نظري عليك ، لأنك تحمل لي شيئاً من ربح ابني العطر ! ... وآوى القتي إلى فراشه ، وهو يقول في نفسه :

— يا للرجل المسكين ! إن حالته تفتت الأكباد وتلين القلوب التي قدت من حجر صلد ... وابنته التي يعيدها لم تذكره في بكلمة !

والواقع أن الأب جوريو قد سمد فعلاً بهذا الحديث ، ولا سبياً لأنه اكتشف في جاره الشاب صديقاً حقيقياً يكاشفه بنجوى نفسه ويفهم عنه فقد نشأت بينهما تلك الصلة الوحيدة التي يمكن أن تصل هذا الشيخ بأى إنسان على وجه البسيطة : وتلك الصلة هي الاهتمام المشترك بأحدى بقيته

ويقولون ان القلوب تحسن ضرباً من الحساب والاستدلال لا يحسنه منطق العقول ، وإنما لا تحسب أبداً في معرفة أهدافها ، وهذا قول يضابق الواقع تمام المطابقة .. فهذا هو الأب جوريو وقد حرم نعمة قرب بنته يعمدس دون تفكير فيصيب الحدس ان جاره الشاب إذا توثقت علاقات الحموى بينه وبين دلفين ، فان ذلك سيؤدى بطبيعة الحال الى زيادة حظوة الوالد لدى ابنته ويوثق اتصالها بها ..



وفي الصباح التالي وقد جلس الجميع الى مائدة الافطار جعل الأب جوريو يلقى على جاره الشاب نظرات تفيض بالحنان والتملق ، حتى لقد لاحظ الزلازل أن الفئاع الجامد قد زال عن وجه الشيخ الذي لم يكن يلقى الى أحد منهم يالا

أما القتي فانه كان قد جال بفكره قبل النوم في اليادين التي تنبسط أمامه ، وفكر فيها فكر في فيكتورين تاثير ورائتها الضخمة التي حدثت منها فوتران ، وفي هذا الصباح التفت نظراته بنظرات الفتاة صدقة ، وشرمت الفتاة بالإعجاب بأناقة القتي في زيه الجديد القشيب .. وأدرك القتي من نظراتها أنه غير بعيد عن قلبها ولا عن أحلام خلوتها ، وأحس كأن منادياً يناديه من فجع عميق :

— مماخانة ألف فرنك يا هذا بمد عمولة فوتران !

ولكنه أصم أذنيه عن هذا النداء وعاد الى التفكير في ذكريات الأمس الجميلة وما حسب أنه قد أصابه من حظوة في عيني البارونة دلفين دى نوسنجين فقال لوالدها الذي كان بجواره على المائدة :

— كانوا يقدمون بالأمس في الأوبرا الايطالية رواية حلاق اشبيليه لروسين . ولم أسمع واهم الحق أعذب من هذه الموسيقى . الا إن من لديه مقصورة دائمة في الأوبرا الايطالية لسميد فتلفت الأب جوريو هذه الكلمة كما يتلفت السكب المدرب إشارة من ولاء .. ثم استطراد الشاب هامساً في أذن الشيخ :

— ولعلك ستلقى مدام دى نوسنجين قريباً ، فثق أنها ستفكك بذراعين مفتوحتين .. لكي تعرف منك المزيد عن شخصي .. وقد نما الى أنه يهدمها كثيراً أن تدعى الى بيت بنت عمى الفيكونتس دي بوسيان ، فلا تنس أن تخبرها أن حبها عندي كفه لإتالتها هذه الأمانة



بداية حب

وخرج ايجين من الخان بعد الافطار مباشرة ، فجعل يصرف الوقت في التزعة والتسكع ، لأنه كان يشفق بهذا المنزل السكيب ، ولأنه كان مكثوفاً عن الاستقرار بتلك الحى السمرة بداخله ، والى يعرفها تمام المعرفة أحداث الشبان حين تتلاقى أمام عينتهم الفنة أحلام خلافة فلما عاد إلى الخان وجد الأب جوروي في انتظاره ، فما رآه داخل حتى قال له وهو مشغل الوجه :

— هاك خطاباً منها ... يا لعلظ الجليل !

وفض ايجين الخطاب ، فدأ السطور التالية :

« سيدى

« قال لى والدى أنك تحب الموسيقى الإيطالية . ولأنه ليعمدنى أن تعرفنى بقبول مقعد فى مقصورتى ، وستقدم يوم السبت أوبرا جميلة ، ولأنى وثيقة أنك سوف لارتضى هذه الدعوة . والبايون دى نوسينجين ينضم إلى فى التوجه إليك بالرجاء لتناول المشاء تلك الليلة . فإذا تفضلت بالقبول أعقبته من الواحد الزوجى الثقيل الذى يحتم عليه مصاحبى للى الأوبرا . . . وتقبل تحيائى

فقال الفتى فى نفسه :

— ما من امرأة تلقى تقسها هكذا على شاب من أول وهلة . فلاريب أنها ترى إلى استغلال فى إثارة غيرة صاحبها المهاجر دى مرساى كى تسترده . . . فهى المكيدة والانتماء لالحب والقيام . . .

وقطع الأب جوروي عليه حبل التفكير بسؤاله :

— قيم تفكر ؟

وكان قد غاب من علم الفتى مبلغ ما للظواهر من سلطان على نساء المجتمع فى باريس ، حتى أن زوجة رجل لايمدو أن يكون من رجال المصارف تطليق نفساً بالاندام على أى تشعيرة فى سبيل الوصول إلى شرف التردد على قصور الأشراف المروفين فى ضاحية سان جيرمان . ولم يجد الفتى مانعاً من الاستفادة من الظرف الوافى ، فأجاب على سؤال الأب جوروي بقوله :

— طبعاً سأذهب . . .

وهكذا سافه حب الاستطلاع إلى دار مدام دى نوسينجين ، فى حين أنها لو كانت تجاهله

أو أزدريته لكائنات العاطفة هى باعته على هذه الزيارة وليس مجرد حب الاستطلاع ، ومع ذلك فانه لم يخل من تشوق ولهفة على الذهاب فى الموعد المصروب فى اليوم التالى

ووصل راستيك إلى شارع سان لازار ، فوجد دار البارون واحدة من تلك الدور الجديدة التى تتم عن ثروة مستعدة ، وهى مزودة ومزركشة فى تكلف وإسراف . وكانت البارونة جالسة متكئة فى صالون صغير يتبته فى زينته للقائى إلى حد كبير . فخر هذا فى نفس الشاب الذى كان يجب أن مجرد حضوره كاف لإدخال البشر على قلب أى امرأة . لهذا قال لها :

— ليس لى كبير حق فى معرفة أسرارك يا سيدتى ، ولكن فى مرجوى على الأقل أن تعارضينى ببساطة إذا كان وجودى معك يثقل عليك

— بل ابقى . . . فأنك إذا مضيت بقيت وحدى ، ذلك أن نوسينجين سينتضى فى المدينة ، وأنا لا أريد أن أنفرد بنفسى ، فالتسيلة لازمة لى أشد الأوزم

— ماذا بك ؟ خبرينى وإلا غلظت أن لى ضلعاً فى هومك

— يا صاحبي هذه هوم ناشئة عن اختلافات بينى وبين زوجى . ألم أقل لك أمس الأول لىنى لست سعيدة فى حياتى ؟ لىنى قيدة بقيود من ذهب . . .

— وماذا ينقصك ؟ فأنت جميلة وشابة ومحبوبة وتقنية . . .

— دع الحديث عنى جانباً . فقد أثبتت لتعنى على أفراد ثم تقضى معاً لىماع الموسيقى . خبرينى هل تروق زيتنى فى نظرك ؟

وقامت لتزبه نوبها من خلف ومن قدام ، وهو من السكشير الأبيض ترينه تقوش فارسية من آتقى ما يكون

— كم آتقى أن تكونى لى وحدى ، فأنت فاتمة !

— لىنى تهناً بهذا لو تحقق ، فالى امرأة شقية

— ما أشوقنى إلى معرفة علة كتابتك

— لو صارتك بها لتجيتينى

— اسمى ! إذا كانت تثقل على صدرك المدموم فلن تجدى خيراً منى للإفشاء بها اليه ! فأنا أريد أن أبرهن لك أننى أحبك لذلك ، فلما أن تكشفتينى بآلامك حتى أجهتدى فى القضاء عليها ولو كلفتنى قتل ستة رجال ، وإلا فارتقت لى آخر الزمان

نفطرت لها فكرة بالسة جعلتها تدق جبهتها بيدها وهى تصبح :

— سأأخذك موضع اختبار . أجل ، لم يدأ مامى سوى هذه الوسيلة بالذات

ودقت الجرس فدخل الوصيف وأمرته بإعداد عربة البارون لىكى تخرج فيها . ثم نهضت

وأشارت إلى إيجين أن يتبعها وهو يحسب نفسه في حلم ، فاستقلت معه عربة زوجها وصاحت بالسائق :

— إلى البالية روايل بالقرب من المسرح الفرنسي
وكانت طول الطريق تبدو مضطربة ورفضت الإجابة على الأسئلة الكثيرة التي ألقاها عليها
إيجين لما ركبته من الحيرة . .

فلما وقفت العربة حملت البارونة في الشاب ثم سأله :

— أعجبني يا خالص ؟

— لا شك في ذلك

— أأنت درجة عدم إساءة الظن في مهمنا طلبت اليك ؟

— نعم . . ولا ريب

— وهل أنت مستعد لاطاعتي ساعة عماية ؟

— كل الساعة . !

— هل تتردد على موائد اللعب ؟

— على الإطلاق

— آه . . إلى أنفاس الصداق لهذا الجواب ، فإن معنى هذا أنك ستخرج . فخذ هذه المائة
فرنك ، واعلم أنها كل ما تملكك تلك المرأة التي طلبتها في أوح السعادة . فاصعد إلى بيت من
بيوت البيسر الموجودة في هذه المنطقة وعامر بالمائة فرنك في لعبة بيسومنها الزولت ، وانفذ كل
شيء . أو رده إلى سنة آلاف فرنك ، وأعدك أن أحديثك عن أشجائي عند عودتك
— أنتظني الأبالسة أنا كنت قد فتهت شيئاً مما قلته لي الآن . ولكني مطيع أمرك
كما وعدت . . .

وقال اتقي في نفسه قلبه يرفض ملرباً بين جنبيه :

— أراها تتأمر مني ، ومعنى هذا أنها لن تحمروا على صدى بعد الآن . . .



المائدة الخضراء

وأخذ منها إيجين كيس النقود الأنيق ، وأتجه إلى المنزل رقم ٢٩ بعد أن دله عليه أصحاب
المواريث في الشارع . وصعد السلم ، وسأل عن « الزوليت » ، فقامه النادل إلى مائدة ماثولة
ولفت الفتى أنظار زبائن المائدة الخضراء للمدمنين ، لأنه كان ينادي الجاهل باللعبة ، فالتفتوا نحوه
مستظلمين ، فإذا به يسأل في سذاجة :

— أين ينبغي أن أضع النقود ؟

فأجاب به شيخ عليه وفار المشيب :

— إذا أنت وضعت مبلغاً على رقم من هذه الأرقام الستة والثلاثين ، ووقفت المجلة على
هذا الرقم ، أخذت مبلغك مضاعفاً ستاً وثلاثين مرة

فوضع إيجين المائة فرنك على الرقم الدال على عمره ، وهو واحد وعشرون . ودوت في
القاعة صيحات الدهشة قبل أن يتبين الفتى علة هذه الضجة . . فقد ربح وهو لا يدري !
فقال له السيد السن :

— خذ مالك وانصرف ، فإن المرة لاربعة مرتين متواليين على هذا التهج

وتناول إيجين المال ، فاقطع منه ثلاثة آلاف وستة مائة فرنك ، وضعها بكل سذاجة على
اللون الأحمر . ودارت المجلة وكسب مرة أخرى ، فأعطاه الموكل بالمائدة ثلاثة آلاف وستة مائة
فرنك أخرى . وسأل الشيخ على أذن الفتى وقال له بالخاص :

— لقد ربحت سبعة آلاف ومائتي فرنك ، فإذا أردت نصيحة خالصة فانصرف لتوك ، فإن
اللون الأحمر قد خرج حتى الآن ثمان مرات متوالية . وإذا كان في قلبك ميل إلى الرعة فني
وسمك أن تقدر نصيحتي قدرها بأن تخفف وعاءة اليوس عن محافظ سابق من رجال نابليون
أصبح في حاجة ماسة إلى السعادة

وفي غرة هذا الجو أعطى الفتى الرجل مبلغاً من المال يصل إلى مائتي فرنك تقريباً وانطلق
بالسبعة آلاف فرنك وهو يكاد يكون أجهل بالالعاب المسائدة الخضراء منه حين أقبل عليها ،
ولكنه كان شديد السرور بحظه الموائى . فلما دخل العربة التي تنتظره فيها البارونة وأقبل
بأيها قال لها وهو يربها السبعة آلاف فرنك :

— وأأنت إلى أين ؟

فاحتشنته داهين لشدة فرحها وقبله بمرارة ولكنها لم تكن قبة صادرة عن رغبة أو عاطفة غرام ، وهفت به :
— لقد أهزنتي . .

وكانت دموع الفرح تهمر على خديها حين استطردت لاهة :

— واآن سأدلى لك بالسألة كماها ، فأنت صديقي ، أليس كذلك ؟ انك تعلمني غنية تحت يدي المال بغير حساب ولا يتقصى شيء . فاعلم إذن أن البارون دى تونسينج لابد لي أن أنصرف في درهم واحد : فهو يدفع بنفسه نفقات البيت ونفقات عرابي ومقاصري في السر وبسج في عزانية ضليلة جداً كتياب والزينة ويلاحي بالمسابات الدقيقة والمراجعة في كل باب من أبواب الضرورات وكبريات تحول دون التوصل إليه أو يبيع عوامتي له بإظهار التودد والهامي في نظائر الحصول على مزيد من المال منه . مع أن بائتي تبلغ سبعمائة ألف فرنك . فقد تزوجته وأنا صغيرة السن بحيث كانت عبارات طلب المال — ولو كان مالي — تنف في حلق . فكنت أعتبد على مايعتني ليأه أبي . فلما غاض هذا المين تورطت في الدين . حتى أصبح الزواج في نظري خيبة أمل مرة ، ففكرت هذه الحياة المشتركة بحيث لا أتزدد في الانتحار إذا أجبرت على الحياة حياة تخالف ماغنى عليه الآن من اختصاص كل واحد منا بمخدعه الخاص . . . فهو رجل كرفظ . وتصور يا صديقي مبلغ تقاسي حين أبي اليوم أن يعطيني ستة آلاف فرنك ، مع أنه يعطى هذا المبلغ كل شهر لعيشته ، التي ليست إلا خفاة من رافصات الأوربا الحاملات . . . لقد خطرت لي أن أنتحر . . . فإذا أصنع ؟ أأجلب إلى أبي ؟ انه لا يستطيع لي الآن شيئاً ، فقد جردناه — أنا وأخى — استنزى — من كل ما كان لديه ، وأنا أعلم أنني لو طلبت إليه هذه الستة آلاف فرنك لأقدم على بيع لحمه إن استطاع يوفّر لي هذا المبلغ . . . ولكني سأزججه في غير طائل ، فيزيد هم ويبغض علي أنه . وهأنذا أفقتني من الضبيعة والموت . . . وهذا ياسيدي تفصيل ما رأيته أقدم عليه من الفعل المستغرب . . . ولا تعلمني وحدي في هذا الوضع الشاذ ، فنصف عقائل باريس يعانين ما أعاني ، وينقل عليهن البش في بيوتهن ، وأن يدين أسعد الحلق وأكثرهم بحبوة وبياراً . بل لي أعرف من هن أشد شفقة مني ، فثمة سيدات يمين أولادهن ، لكن يتمكن من شراء ثوب جديد ، أو يزورن في « فوائير » نفقات البيت . أما أنا فاستنكف من هذا الحداد ، ولا أقبل أن أنيل زوجي ما هو حل له فادمت لا أضمر له الحب ! مع أن تونسينج ينني رضاي ، وهو على استعداد إذا دفعت اثنين أن يفرقي في الذهب . . . ولكني أفضل أن أبكي على صدر صديقي ختون من أن أبيع نفقي لهذا الزوج القلط . . . وسكر الله ، فإن دى مارساي لن ينظر لي الليلة فتلته إلى امرأة دمع لها من الهوى !

ثم غطت وجهها يديها حتى لا يرى الشاب دموعها ، ثم التفت إليه وقالت :
— عدني أنك لن تستخدم ضدي سرى هذا . . .

فلما وعدتها تناولت يده وشدت عليها ، ثم أعطته ألف فرنك من السبعة آلاف ، فاحر وجه الفتى ورفض بشدة ، بيد أنها قالت له في إصرار :

— سأشعر إذا لم تكن تريبكي أنك عدوي

— سأخذها إذن ، ولكن عديها مالا مدخراً تحليته من شئت

— ليكن ، على شرط واحد : أن تقسم لي ألا تعود إلى المائدة الخضراء أبداً . . . رياه ! كيف أغفر لنفسي أنني أقصدك وعمرتك للقوابة !

ووصلت بها العربية إلى دار البارونة ، فأخذته إلى جناحها الخاص ، واستلمته حتى تكتب خطاباً لتتله له بأنه خطاب عمير . فهي تريد أن ترسل الستة آلاف فرنك إلى ميسو دى مارساي ، فهو قد أقرضها لإها وهي كارهة ، لأنها لا تريد أن ينظر إليها تلتزم إلى بالمنة هوى . . . فقال لها ايمن :

— ولماذا تكتنين ؟ ضمي أوراق النقد في مطروف ، وأغلقه واكتب عليه التوان . . . وكفى . . . ثم أرسله مع صفيك

— لله ما أحسن رأيك . ولا يجب ! فذلك أساليب أبناء البيوتات تهديمها بها بصيرة نافذة وفطرة سليمة واقية .

وفعلت ما أشار به عليها ، وأرسلت وصفيها تبرز بالمطاب إلى دار دى مارساي . . . وكان العشاء قد أمد ، فقاما إلى قاعة المائدة ، فإذا مائدة فاخرة سقا . . . وقالت البارونة وهي تجلس قبالتها :

— في جميع الليالي التي تذهب فيها إلى الأوربا الإيطالية ، أنت مدعو للعشاء معي هنا ، ثم تصحبني إلى الأوربا . . .

— كان يشرق أن أعود هذه الحياة الناعمة الرخية ، لو أنها تدوم ، ولكن ماذا أصنع وليس لطالب فقر مثل أن يقدر على هذا المستوى العالي من الحياة ؟

— لا تتلق في هذه الناحية ، ولكنك لك في مسألتي عبرة : فن كان يقدر أن أموري تستوى على هذا النحو فأتقل من هاوية الشقاء إلى قمة السعادة ؟ وتناول ايمن يد البارونة وضغط عليها شاكرًا . . .

وفي مقصودتها بالأوربا ، تنابكت يدها معظم الوقت ، يتناحيان بالأسات كـ ا حركت أشجانها الموسيقى الرفيقة . وكانت هذه السهرة من أمع الليالي وأكترها سحراً ونشوة لاشاين . حتى إذا انتهت الرواية ، أمرت البارونة على توصيل الشاب إلى قرب بيته ، مع أنها طالت تصده وتودده طول الطريق عن قبة كان يتنازعها لإها . . . وقد شاقه طعم القبلات التي غمرت بها قرب الباليه رويال ، عندما عاد إليها بما كسب من النقود

وتكدر ايمن لهذا التغير الذي جعلها تنس عليه قبلة يادها وهي التي منحته قبلات

بلا التماس منذ ساعات ... فلما سألتها تفسير هذا التناقض الظاهر ، قالت له :
— تلك كانت قبلات عرفان الجليل ، لما صدر منك من إخلاص غير متوقع ... أما الآن
فأنتيجة منها الوعد والتأمل ...

— وهل ترقضين أن تعدين وتعتني بالسعادة ؟

وبدا عليه القصب ، وندت منه إشارة ضيق وتبرم ، فدت إليه يدها في دلال يذيب قلب
العاشق الوطآن كي يقبلها ، فرفضها إلى فقه في اضطراب وإرتباك سر لها قلبها ، لأنها استندت
من ذلك على عشقه لها عشقاً عميق الجذور في نفسه ... فقالت له وهو يغادر الغرفة :

— إلى اللقاء يوم الاثنين ، في الحلقة الراقصة عند الماريسالة كاريليانو ...
واستأنف الفتي طريقه على قدميه ، في صمت الليل وضياء القمر ، وكأن في صدره
عصفوراً يغني ...

الدرس الثالث

وكان الأب جورويو قد ترك باب غرفته مفتوحاً كما ترك شمعته مضادة حتى لا يفسد إيجين عند
عودته في ساعة متأخرة أن يدخل إليه توا فيجد له آخر الأخبار عن ابنته وكيف بدت تلك
الليلة وإلى أي حد كان عنتها بالسهرة والسباع . ولم يخف إيجين عنه شيئاً مما حدث ، فأخذت
الشيخ توبة من القصب والحمية وضاح :

— إنها تظناني معدماً ، وهذا خطأ محض ، فما تزال في حوزتي ثروة تكدى بدخل سنوي
يصل إلى ألف وثلاثمائة فرنك . يا ألهي ! لماذا لم تأت البنية للسكنة إلى أبيها ، ولماذا حملت
في صدرها الصغير اليافع كل هذه الآلام دون أن تتحركي فيها ؟ اني كنت خليقاً أن أبيع جانباً
من هذا الدخل ، فأنا رجل قليل المطالب مثبيل الأرب في متاع الحياة ، ولماذا لم تبادر بأخباري
في الحال بما تعانيه ابنتي من ضيق ؟ وكيف طاولك قلبك يا باري العزيز أن تقامر على المائدة
المحضرة بفرنكتها المائة ؟ إلا أنه دون هذا وتغفّر أكباد غلاط وقلوب شداد ! أهذه إذن
هي الزيجات الناجحة والمساورة التي ترفع الرأس ؟ والله لو ملكت رقبتي زوجي . بنيتي لا تركتكم
يعيشان لحظة واحدة ولحقتها خفا ! يا إله السماء ! أقول إنها بكت ؟ هل بكت حقاً ؟

— نعم ورأسها على صدري

— أعطني ! أعطني حالا ! اليست عليه قد سقطت دموع ابنتي أنا ؟ دهوع عزيزتي دلعين
التي لم تبك أبداً وهي طفلة ، لأنني لم أكن أنعمها شيئاً . سأشغري لك صدراً غيره ، فلا تلبسه
ودعه لي ! إنها صاحبة الحاني في استغلال ثروتها الخاصة كما نسي على ذلك في عقد الزواج . وسأذهب
إلى الحامي منذ الصباح وأطلب حساباً دقيقاً من هذا الزوج الفادر عن أموال ابنتي . أجل لحني
فقد أصبحت الآن ذنباً عوزاً بلا أسنان ، ولكنني سأسترد ما سقطت من أسناني لأؤدب
هذا الرغد ... !

— خذ أيضاً هذه الألف فرنك وضعها في الصدار لأنها أصرت أن آخذها مما ربحت
لها ، فاحفظ لها بها

فرشق الأب جورويو إيجين بنظرة فياضة بالامتنان وتناول يده فمد عليها وأسقط عليها
دمعة دافئة وهو يقول له :

— حق يا بني أنك ستصافى النجاح في أمورك ، لأن الله عادل ، ولأن أمثالك في الدنيا



قيل ، فهل لك أن تكون لي بمثابة الولد فيصبح لي ابن وبنتان ؟ اذهب الآن وتم ، فإني
مستطيع في هذه الفترة من حياتك أن تمام مله جفتك ، لأنك لم تصبح بعد أباً .. لقد بكت ،
بكت ، هي بكت . وهنا أظن هذا الثبأ للزلزل في حين أي كنت وقت بكائها مشغولاً في
تناول الطعام كأي حيوان مهم

فلما أوى الشاب إلى حجرته واستعد للرفاد جعل يقول في نفسه :

— لعزى من الخير أن يحيا الإنسان معتصماً بالشرف والاستقامة فإن راحة الضمير هي المنفعة
الكبرى في الحياة . .

وفي اليوم التالي ذهب إيجين إلى دار الفيكوتنس دي بوسيان كي يصبحها إلى الرقص القائم
في دار المارشال دي كاريليانو ، حتى تقدمه إليها . وفي صالون المارشال نهل وجهه عندما وقعت
عيناه على دافين دي نوسنيجين بين الحاضرات وبين الفن في هذه الحفلة أي مزينة حصل عليها
طارق بها قدره اذ اشتهر بين الناس بأنه ابن عم الفيكوتنس دي بوسيان ، وأضف إلى هذا
ما تناقله الألسن من توفيق العلاقة بينه وبين البارونة دي نوسنيجين الحناء ، فأصبح موضع
الغيرة والحسد من كثيرين من الشباب ، وطرق سمعه طرف من أحاديثهم عنه فاستغضت أوداجه
وأجدى هذا عليه من جهة أخرى لأن دافين خشيت أن تنفقه إذا هي تدلت عليه كثيراً
فوعده عند الانصراف بملك القبلة التي منتهه إليها في المرة السابقة

وفي تلك الحفلة قدمته الفيكوتنس إلى كثيرات من المغاليل وتلقى منهن دعوات كثيرة للتزود
على صالوناتهن ، فأضى في لحظة واحدة تلك جواز المرور إلى أرق الأوساط في العاصمة الفرنسية
فلما كان الصباح وجلس نزلاء الحان إلى مائدة الافطار ، جعل يقص على سامع منهم على الأب
جوردي مالفيه من توفيق في ذلك الحفل ، فأقيم فوتران ابتسامة خفيفة وقال :

— وهل تعتقد أنه يمكن لشاب أن ينجح في المجتمع العالي إذا لم يقف في هذا المكان الخفير
وفي هذا إلى التواضع ؟ ألا داعي يا صديق الشاب أنك إذا رمت التبحر حقاً والتبريز في الضمار
الاجتماعي أنه ينبغي لك ثلاثة جباد ، وعربة لزهة الصباح ، وأخرى لسهرات المساء ، وتلك
وحدها لا تكفك أقل من تسعة آلاف فرنك بضاف إليها ثلاثة آلاف أخرى في السنة لطارزي
وستائة فرنك للمطبخ ، وخمسة فرنك للأحذية ومثلها للقبعات ، أما الفسلة فلا تكفك إلا
ألف فرنك ، والشبان البنات يكون يحرمون أشد ما يحرمون على ارتداء الأقنعة في غاية من النظافة
ويجوع هذه النقبات أربعة عشر ألف فرنك ستويا لا يدخل فيها ما ينبغي أن يتفق عن سبعة
على مائدة الفطار وفي الهدايا التي تقدم في الشاسيات ، نفذ كلأي هذا قضية مسلمة لأنني جربت
هذه الحياة بنفسى قيا مضى ، ووجدتها لا تيسر بأقل من خمسة وعشرين ألف فرنك . ثم
لأنس أنه ينبغي أن يكون لك وصيف أتيق مهذب ، أم ترى سيفوم كريستوف خادم خاصاً
الأولى يحمل رسائل الغرام ؟ وهل ستكتب تلك الرسائل في أوراق الكراسيات المدرسية ؟

أن هذا سيكون بمثابة الانتحار الاجتماعي لوفعله ، فصدق نصيحة صديق غلص بخجل وطابه بتجارب
العمر ، وتغير منذ الآن لنفسك إحدى خططين : اما حجرة في السطح وكدرج في سبيل العيش ،
واما خطة أخرى تختلف عن نمط هذه الحياة كل الاختلاف

وعز فوتران بعينه إلى جهة الآلة دي باغير ، على سبيل تذكير الشاب بما تحدثنا فيه
من أمرها



إذعان

والحق أن إيجين دى راستنيك كان في موقف دقيق عسير ، وقف مثله معظم الشبان الماشقين : فالبارونة دلفين دى توسيجين عرضت على درجات الجمع التي يعرفها أهل الموى الصادق ، واستخدمت في ذلك أقصى فنون السياسة الاشوية التي تعرفها بباريس . ففى بعد أن اكتسبت في نظر الكافة سمعة الاستخبار بواطل ابن عم الفيكورنس دى بوسيان ، لم تنله من نفسها ما كان يؤهلها له ظن الناس من أمره معها . فطلت نخواً من شبر تلهب حواسه وتلمب بها ، حتى كاد يئأس من حبها فهل كان هذا تدللاً من البارونة ، أم تلاعباً ، أم هو حساب مقصود وخطة موضوعة ؟ ربما كان الأمر على خلاف هذا أخلاقاً . فن الحائر أنها بعد أن قربت القتي ، وأحدث له عليها تأثيراً كبيراً ، تحركت كبرياؤها فتضما من النقطة الأخيرة . كما أنه من الجائز أيضاً أن تتأني الباريسية كثيراً قبل الاستسلام التماسي لماشقتها ، حتى تمتحن إخلاصه . وتعرف حقيقة ما ينطوى عليه قلبه . وهذا هو الاحتمال الراجح على سواء ، فقد غابت آسأل البارونة في عتقها الأول ، ومنتبت بفشل ذريع ! فلها الفكر العرل المذر إذا لزمت المذر . يضاف إلى هذا أنها قد تكون استندت في القتي بعد نجاحه الاجتماعي الحافظ ميلا إلى القروور والاستماتة ببقية المخلوة عندها ، فأرادت أن تفرس احترامها على شاب لا يزال في حداثة السن ، حتى ترده إلى حسن التقدير ، فلا يظنها امرأة سهلة تبدل نفسها لكل طارق يدق باب قلبها ، أو باب معدنها ومهما يكن من أمر هذه الأسباب أو العبرات ، فالحقيقة التي لا شك فيها على كل حال أن دلفين مثلت التي الوصال ، ولعبت بواطفه ، ولذ لها هذا اللعب ، كما يذ للاهرة أن تلعب بغريبتها ، واثقة من النصر ، ومن وقوع القرية بين برانها في أى وقت نشاء .. ولم يشأ إيجين أن تكون خاتمة مقامته الأولى فشلا عسفاً ، فقررها ولم يفض يده منها رغم ما لقيه من عذاب أليم

ولكن هذه الفترة التي قضاه التي قريبة للشد والجذب والتمنج والتمنج كافته تلك الملاحة من المال التي كانت قد تجمعت بين يديه بشن غل من تضجبات الوالدة والشقيقات . وك من مرة قتل عليه فيها ضيق ذات اليد تغفل بياله أن يضرب عرض الحائط بصوت ضمهه ويسلم لا عرضه عليه فوتران من الرواح بالآسنة دى تاغير ، وحدث ففلا في لحظة من لحظات الفنوط — وكان وجعاً مع مدام فوكير ومدام كوتير وفيكورين — ان رشت الفتاة بنظرة ناعقة

بالرقة ، فنضت الفتاة بصرها ثم سألته بعد لحظة صمت قصيرة :

— أنتكوما دقينا يا سيد إيجين ؟

— وأى امرى ، لا ينطوى صدرى على ثم ؟ ولو أننا معاشر الشبان وثقنا من أن نمة قلوبنا تنطوى لنا على الحب الصادق ، نظير ما نتعله من أرحام الحياة لا طارق ألهم قلوبنا

فرمته الفتاة بنظرة لا يتخلف في تأويلها اتان . فهمس لها القتي :

— أنت اليوم واثقة من قلبك يا آسنة ، ولكن هل تضمنين أنه لا يتغير بفعل الأيام ؟

فصافت بشفتي الفتاة المسكينة ابسامة كأنها شعاع بانق من روحها فأصفت على وجهها وضاعة ارتواع لها القتي ، لأنه أدرك منها أى بركان كان خادماً من العواطف والانعالات تعرض له ليحرك كوامنه ، ولكنه استطرذ بسألها :

— إذا واثقت أسباب الرزاء غداً من حيث لا تعلمين ، بليت على حب شاب فقير كان قد

راق في عينيك أيام يؤسك ومسغيتك ؟

فأومأت له برأسها إعانة لطيفة

— شاب فقير جداً إلى درجة الاعدام ؟

فأومأت إليه مرة أخرى جواباً على سؤاله

وفي هذه اللحظة صاحت بهما مدام فوكير من الطرف الآخر للصالون حيث كانت تجلس مع مدام كوتير غائلة :

— عاذا تهرغان ؟

فصاح بها إيجين :

— دعينا وشأننا فأننا نتقام

— أستطيع أن نأمل إذن في إعلان قريب لحطبة الشيفاليه إيجين دى راستنيك والآسنة فيكتورين تاغير ؟

وقبلت هذه العبارة بصوت أجش عريض هو صوت فوتران الذى ملا جسمه الضخم فراغ باب القاعة . فتدخلت مدام كوتير وقالت :

— كنى دعايات تالية عن موضعها ! هيا بنا نصعد يا ابنتي

وصحبت مدام فوكير السيدة والفتاة لتقفى المصهرة في حجرتهما فنزل الصوف وتوفر سمعنا التي تنيرها في حجرتها . فبق إيجين وفوتران وحدهما وجهها لوجه ، فرشق فوتران التي بنظرة ناعقة وقال له :

— كنت أعلم أنك ستنتهى إلى الزول عند رأبى . يد أى أنصعلك ألا تبت الآن الأمر لأهلك لست في حالالك العادية في هذه اللحظة : فأنت غارق في الفين ، وأنا لا أريد أن يكون

قرارك صادراً عن اندفاع عصبى ، بل عن تفكير منطقي هادى . أما الآن فإذا كان يعوزك . .
من المال ، فخذ ما تشاء .

وأخرج هذا الشيطان من جيبه حافظة متنفخة بالأوراق المالية أعطى منها ألفي ثلاثة آلاف فرنك . وكان يجيب في هذا الوقت بالذات في أشد حالات الضرر للمال : فهو مدين لتفكير داجودا وللكونت مكسيم دى ترى بغمسالة فرنك خسرها أمامهما في الفار . وهو لا يملك هذا الفار ومن ثمة فهو غير مستطيع أن يدفع لقضاء الشهرة عند الكونتس دى ريسنو التي عدت عن إيراد إليها في وجهه بعد الجراح الداوى الذي لقيه في الحافل والجنومات . لهذا كان ألفي ينهر بشغف هائل على أعصابه وهو يقول لفرتران :

— أنت تعلم جيداً يا سيدى أنه يستحيل على بعد الذى أقضيت لى به أن أكون مديناً لك بأى شكل من الأشكال .

— معجى منك هذا الكلام . ولى وأوافقك عليه . قلن تكون مديناً لى بى من الفضل إذا أنا تقاضيت من هذه الخدمة مبلغاً من المال . فهناك سند أكتب فيه بخطك أنك تتعهد بدفع ثلاثة آلاف وخمسمائة فرنك بعد عام من هذا التاريخ . فالفائدة التي تبلغ خمسمائة فرنك ممكن كاف لئوسارك وهو أيسر ، لأنها تعملك غير مدين لى بأى فضل ، وتسمح لك بأرضاء كبريائك كما تشتهى عن طريق احتفال ذاتي المتواضعة . ولى أقبل هذا من طيب خاطر عالماً أنك ستتقلب لى حى في يوم من الأيام عندما تعتمد عاقبة نصيحى لك ولى والله انى عى من تغير الأحوال في هذا الزمان : ففينا مضى كان المرء ينفق رجلاً من أهل الشجاعة خمسين فرنك ويقول له : اقتل لى فلاناً من الناس ، ثم ينصرف لى تناول طعامه بنفس مطمئنة . أما اليوم فما أننا أعرض عليك ثروة طائلة في نظير لئامه من رأسك لئلا تكاف شيئاً ولا تورطان في شيء ، ولكنك مع هذا تنفق متروداً . يا لجيل المرح !

فوقع إيجين السند وسلم الثلاثة الآلاف فرنك ، واستطرد فرتران :

— وآلان فلتنعت فيها بجدى : فأننا أريد السفر لى أمريكا في ظرف بضعة أشهر ، لكي أفرغ لزيارة الطبيب وأرسل اليك من هناك لفائف التبغ الفاخر نذكراك لصدقتنا وهذا أصعب ثروة فاني عازم على مساعدتك ، وإذا لم أعجب أهلاً لا فأسألى لك بىرونى ، فأننا أشعر بخورك باطانة جب صادق ، وأننا من ذلك الطراز من الرجال الذى ينفق العواطف ويبش لها ذلك أنى أعيش في ذلك أعلى من المستوى العادى للناس ، فليست الأعمال عندي شيئاً مذكوراً لأنها مجرد وسائل ، والغايات وحدها هي التي تعنى . وما الإنسان في نظرى ؟ هو كل شيء أو هو لائى ؟ هو لائى ؟ هو أقل من الهباء وأهون من الدم والفناء إذا كان على غرار جارنا بواريه ، فهو والبرغوث سواء وليس سحبه جريرة أكبر من سحق بقعة ، فهو تافه قدم لاجورية فيه ولا شخصية له . أو هو كل شيء ، بل أنه أقدس من الانسان ، هو له إذا كان

فى قرارك ملوماً بدفعات الحياة ، وليس يبرد آلة صاه تأكل وتصرب وتلهى ! لأنه يعيش بعواطفه ، والعواطف عندي هي لباب الحياة ، فاما العاطفة إلا العالم كله مخلصاً في حركة من حركات الوجدان . انظر لى هذا الأب جوريو : بناته ما العالم أجمع لديه . وأنا مثله ولكننى أرى أن العالم أجمع ينتفض في عاطفة الصداقة التي تربط بين رجل ورجل . وهذا كل ما عندي قد أقضيت اليك به ، واثقاً أنك ستنتهى لى حكمة الزواج من هذه الفتاة وانصرف فرتران قبل أن يسمع إجابة الشاب ، كأنه واثق أن الاعتراض أو الرفض لا قيمة له أمام الظروف التي يضمرها المستقبل .

وقال ألفي مخاطباً نفسه وهو يتعسس الثلاثة الآلاف فرنك :

— قليل ما يقول له ، فاني لن أتزوجها

ولما هدأ روعه قليلاً قام ذرتدى ملابسه واستقل عربة لى قصر مدام دى ريسنو ، فأدى لى دى ترى وداجودا دينهما ، ثم لعب لعبة « الويت » الانجليزية التي شاعت في المجتمعات الباربيية الراقية فاسترد ما كان قد خسره ، وخبل اليه أن هذا الحظ السعيد قد كافأته به السماء لتسكع بطريق الاستقامة في مسألة الزواج بالآنسة دى ترى ، ذلك الزواج الذى يغنى الرضى بجرعة قتل .

فما كان الصباح التالي أسرع لى فرتران وطلب منه السند ورد له الثلاثة الآلاف فرنك مزهواً ، فاقبض الرجل ابتسامة الخبير بأطوار الشباب ، وكأنه يقول :

— من يعيش يرمه ..



مؤامرة أخرى

وبعد يومين شوهد بواربه والآنة ميشوتون جالسين مع شخص ثالث في متحف منزول بحديقة النباتات . وكان هذا الشخص الثالث يدعى السيد جوندورو . وكان هذا السيد يحاول إقناع السيدة ميشوتون بأمر يظهر التردد في إضائه

—...ولست أرى يا آنسى ما يبرر هواجسك مع أن السيد وزير الأمن العام في الملكة...
فصاح عندئذ ببواربه :

— السيد وزير الأمن العام !

—...لأجل السيد الوزير ينغم بهم هذا الموضوع

وكانت كلمة السيد الوزير كافية لاستيلاء الخشوع على السيد بواربه الموظف المتقاعد الذي قضى حياته في التبعية لأي وزير ، فالوزير له من القداسة عند مثله ما لبابا روما عند جماعة المؤمنين بالكنيسة ، فهو تقى طاهر معصوم من الخطأ ، تحيط حالة من التقديس بجميع أفعاله بل باسمه الجريد . ويدنو أن السيد جوندورو قد استطاع أن يسر غور بواربه فتعبد ذكر اسم السيد الوزير حتى يتولى على إرادة هذا الرجل ، كما تتولى دقات الفيلول العسكرية على حركات الجواد الحربي المدرب . وبالمثل أنا بواربه يضغط على الآنة ميشوتون كي تستجيب لرغبة السيد المتأمل مندوب وزارة الأمن العام . واستنارد جوندورو يقول صاربا على هذا الوزير الحاس:

— إن السيد الوزير لديه من الأسباب ما يجعله على الاعتقاد بأن الدعو فوران والمقاطن بخان فوكير إن هو في الحقيقة لإلحاح هارب من المايان مشهور باسم فاهر لوت ... فإنه أوفى من حسن الظالم ما جعله يفتل من اللوت بما يشبه المعجزة مرارا عديدة مع شدة جراحه وبجاذفته . فهذا الرجل شخص خطير ولكنه غريب الأطوار : فهو لا يخلو من شهامة وأريحية، فهو متلاف حكي عليه في المرة الأخيرة لجرم لمحققة...فذلك أنه تحمل وزر الجرم الحقيق وهو شاب جميل جدا من أصل إيطالي ، كان يحبه فوران كثيرا

فأنته الآنة ميشوتون :

— ولكن ما دام السيد الوزير متأكدا من أن فوران هو بعينه فاهر لوت ، فلماذا يريدنا على معاونة ؟

— إنه ليس متأكدا بمعنى الكلمة ، وإنما هناك قرائن قوية على أن هذا الشخص هو « جاك كولان » اللقب بفاهر لوت ، وأنه موضح ثثة ثلاثة مناس من الاضسوس ، يقوم لهم بدور الوسيط في تصريف السرورقات ، نظير عمولة كبيرة ، ويحفظ لهم بأموالهم ، ويستغلها ويستدرها لهم ، وينفق منها على أسرهم اذا سجنوا ، فإذا أطلق سراحهم أو هربوا من السجن رد اليهم ما لهم ... فن الأهمية لدى الدولة يتكان أن تستطيع إلغاء القبض على هذا الشخص ، والاستيلاء على المال الموجود تحت يده ، والذي يقدره المارقون يبلغ طائل ... هذا ساعدنا الدولة في هذا السبيل ، لم تضن علينا بالكفاءة الجزيلة . فيمكن أن يعود السيد بواربه الى الخدمة ، سكرتيراً لنفس من مقننى البوليس مثلا ، ولا ينول ذلك دون استمراره في قبض اللماش عن خدمته السابقة . . أما الآنة فسكون مكافأتها ذات بال

فأنته الآنة ميشوتون :

— ولكن لماذا لا يأخذ فوران لنفسه هذا المال ويهرب به !

— لأنه اذا هرب فسيبعه المحرمون الموتورون أيضا لن ليتقدموا منه . ثم أن فوران يعتبر هذا العمل غشرا لا يليق بشرفه

— ... ولماذا لا تقبض عليه الحكومة بدون وساطتنا ؟

— لأن فوران يبدو رجلا شريفا في الظاهر ، فإذا لم تكن الحكومة متأكدة تأكدا كاد فاطما ، كان لإقدامها على إزاح رجل شريف وثرى عملا غير مأمون العواقب ، لأن له أصدقاء في أعلى الأوساط ... والسيد الوزير لا يريد ان تعرض لسطح الرأى العام وكبار رجال الأعمال من أصدقاء فوران بدون موجب . ثم أنه مدير البوليس قد يعترض لفقد مركزه اذا وقع في مثل هذا الخطأ فمادت ميشوتون تقول :

— ولكن أنظركم بحاجة الى امرأة جميلة للوصول الى سره ...

— فاهر لوت لا يهم بالنساء ولا يحسن ...

— فقيم ترميد ماوتني لك إذن ؟

— المسألة في منتهى البساطة : سأعطيك حنجورا صغيرا فيه حنجر قوي ، إذا صبته في كأس فوران أو في نهوته فقد وعيه في الحال . وليس أبسر في هذه الحالة من قتله الى فراشه وخلع ملابسه بجمعة لإفاته ، فتسحق لك الفرصة للتحقق من وجود « طالب اليان » المدعو غ كنتف الجرم الحاربه ...

— ولكن اذا لم أجده هذا الطابع ، هل تعطيني مكافأتى ، وهى كما تقول ألفان من الفرنكات ...

— طيبا لا ... حساسة فقط في هذه الحالة ...

— هذا . بلغ لايساوى الخطيئة . إن الوزير واحد في الحائنين ، فلماذا لا يكون النثن

واحدًا؟ اسمع ! اجمل المكافأة ثلاثة آلاف فرك اذا صح أنه المجرم الهارب ، ولا شيء اذا انتضح أنه ليس هو . . .

- وهو كذلك ! ولكن على أن تتم العملية غداً . . .
- ليس بهذه السرعة ، فلا بد لي من استشارة القس
- إذن تتقابل غداً لأعرف أتوافقين أم لا بصفة نهائية
- هو ذاك . . .

لهو وشجو

ولما ضاق الفتي اليמים بصدود دلقين في اليوم التالي لم يستطع مقاومة ماني مشروع فوتران من إغراءه ، فالتزق في التودد الحادق لفكتورين دي تايفير ، وصدقت الفتاة المتلهفة إلى العلف والحب مانظها لها به ، فبيل إليها أن الساء قد فتحت لها أبوابها وأصبح خان فوكير في نظرها وكأفا قد زانته أبهى الألوان والطنافس التي تزدان بها أغصان القصور

وأخذ الفتي من سورة الندم على هذا القمل دخول فوتران في هذه اللحظة ، فقرأ بنظرته الناقذة ما بين الشابين ، فوكت فيكتورين هاربة لاذعراً ولكن خجلاً من هذه السعادة التي لم تتمتع بمثلهما في حياتها من قبل ، وقال فوتران لاييمين على الأثر :

— ان المسألة في طريق الحل النهائي : فقد وقعت العرفة والشادة بين صاحبي والشاب تايفير ، واستدبح الشاب الساذج حتى تورط في توجيه الاحانة إلى صديقي ، وغدا في منتصف التاسعة صباحاً سيبلغني الغريتان ، وستصبح الآنسة تايفير الوريثة الوحيدة ناقب والدها وتروثه في الوقت الذي تكون منصرفة فيه هنا إلى غمس قطع الخبز في فتجان القهوة على مائدة الافطار . اليس هذا طريفاً حتماً ؟ وقد بلغني أن الشاب تايفير يارع في ألعاب السيف ، ولكنه لا يعرف ضرباً خاصة ابتدعتها أنا ويعرفها صديقي ، يطير بها السيف من يد الخصم ويصاب في جبهته بضربة قاضية . وفي نيتي أن أعليك هذه الضربة يوماً ما ، لأنها نافعة للغاية

وكان اييمين يصغي إلى هذا الكلام مبهوراً ولا يجيب . وفي هذه اللحظة دخل الأب جوريو ويبان شون طالب الطب وغرم من الغزلاء الآخرين . وخطر لرامستياك أن يذهب في المساء ليحيط السيو دي تايفير الشيخ وولده بمغيفة المؤامرة ، ولكن الأب جوريو قال في هذه اللحظة على أذنه وقال له :

— أراك مكتئباً يا ولدي ، لهذا سأدخل السرور على نفسك ، تعال معي !

فقام الشاب وتبعه وقد استبد به حب الاستطلاع ، وقال له الشيخ :

— لندخل إلى حيرتك . . . املاك قد طُنشت هذا الصباح أنما لاجحك لكثرة مائدلت عليك ؟ فقد بلغني أنها صرفتك وأنت غاضب يائس . اعلم إذن أنها صرفتك في هذا الوقت لأنها كانت تنظرني أنا ، لأننا كنا على موعد لثم أعداد مسكن أتيت خفيف الفل تنلايان فيه على هواك بعد ثلاثة أيام . وهي تريد أن تجعل هذا الأمر مفاجأة لك ، فلا تظهر لها مرفتك به



لأنني أنا أملكك عليه لما رأيت حزنك ، فأنت عندي أثير ... وقد انتفينا الأثاث ، وكانت تنحصر أن يكون بهيجاً بجهاز العريس ، وقد استغرق هذا الإعداد أوقاتنا منذ شهر ، وقد ربيت لك الأمر مع المحاسن كي يصل إل يد ابنتي ربح بانثها وهو ستة وثلاثون ألف فرنك في السنة . !

وكان ليجين بصفر وهو يتمشي في الفرقة صامتا وذراعاه مقودتان فوق صدره . فانتبه الشيخ فرسه أدار فيها الشاب له ظهره وهو يتمشي ، فوضع على رف المدفأة صندوقاً صغيراً من الجلد المراكشي الأحمر مطبوع عليه بالذهب شعار أسرة راسنتيك ، وقال لفتى :

— يا ولدي ! لقد سميت لهذا الأمر جهد طائقي ، ولكنني كنت في الواقع مدفوناً بالإنانية ، فهل تمدني ألا ترفض لي طلباً سأقدم به إليك ؟

— وما هو ؟

— فوق المسكن ، مسكنك الجديد ، في الطابق الخامس ، حجرة تابعة لمسكنك ، فهل في الامكان أن أقدم فيها ؟ فقد كبرت سن ولم أعد أطيق كل هذا البعد عن بيتي ، ونقني أنني سوف لا أضايك ، فيمكنني أن أراها وأن تحدثني أنت كل ليلة عنهما ! والحق بعد سيكون أقرب كثيراً إلى الشاتيليزيه التي أرتادها لأرى بنتي أثناء زهرتهما ... إن دلتين قد عادت إليها سعادة الطغولة منذ هذا الصهر ، فهي مدينة لك بعلم السعادة ، ولهذا تجدني مستعداً أن أقبل التسجيل من أجلك

ومسح الرجل الطيب عينيه فقد كان يبكي

... وقد أسعدني اليوم الحظ بنعمة حرمت منها منذ عشر سنين ، فقد طفت بالمواثيق وابنتي متعلقة بنفراعي . ألا ما أحل أن يشعر الإنسان بمسئوليتها وهي تغمي يداعب ذراعه ... فاحتفظ بي في جوارك ، فقد احتاج إلى شيء ، فأقضي لك أنا ، حتى إذا مات هذا الزوج اللازسي التفتل تمت السعادة لابنتي بالزواج منك ... وقد قلت لها أنك أعطيني ألف فرنك ، فتأثرت كثيراً وأعطيت شيئاً أوصاله إليك . انظر ما هنا الذي فوق مدفأتك ؟

فلما فتح الفتى الصندوق وجد فيه رقعة تهنئها ساعة تيمنة ، وفي الرقعة هذه الكلمات :

« أريد أن تفكر في كل ساعة ، لأنني ... دلتين »

فتأثر الشاب حتى لقد دمعته عيناه ، وقال له الأب جورجو :

— اذهب لزيارتها هذا المساء ، فانها تنتظرك ، فاللازسي سيمنعني الليلة عند صاحبه الراقصة ، فهل تقبل عيني معك ؟

— أجل يا أبي ، فأنت تعلم جيداً أنني أحبك

— أعلم هذا ، فأنت لا تتجمل مني واحتضن الشاب بحماسة ثم قال له :

— تعهد لي أن تعدها ! أنك ذاهب الليلة . . اليس كذلك ؟

— أجل ، ولكنني سأقضي قبلها أموراً لا تحتمل الإرجاء

— وهل في وسعي أن أقضي لك شيئاً منها ؟

— تذكرت ! في الوقت الذي أكون فيه عند دلتين ، تذهب أنت لقضاء السيد تايثير الكبير لطلب اليه . موعداً يتقابل فيه أثناء السهرة لشان ذي أهمية تعوي

فصاح الأب جورجو في حدة وقد تغير وجهه :

— أصبح إذن أيها الشاب أنك تغازل ابنته كما يزعم هؤلاء الأوباش ؟ يا إله السماء ! أنك لا تعلم يا ولدي مدى مايصل اليه جورجو إذا غضب . فاعلم أنك إذا خدعتنا تعرضت لضربة قاسية ... ولكن هذا مستحيل !

— أقسم لك أنني لا أحب إلا امرأة واحدة في العالم

— وأفرحتاه !

— كل ما في الموضوع أن تايثير الصغير سيجارز بعض الناس غداً ، وقد سمعت أنه سيقتل

— وما شأنك بهذا ؟

— يجب أن نغيره لينج ابنه من الذهاب ...

وفي هذه اللحظة سمع عند عتبة الباب صوت فورتان العريض يتنفي بأغنية شعبية ، ثم حضر الخادم كريستوف وساح :

— أعدت المائدة والجليم في انتظاركما

وصاح فورتان بمرح :

— هيا تناولوا من زباجية من نبيذ بوردو

أما جورجو فكان متصرفاً إلى سؤال ليجين عن الساعة وهل أعجبته ، ثم استطرد إلى إطاره ذوق ابنته الجليل !

وهكذا ربط فورتان والأب جورجو وراسنتيك معاً ، وجلسوا إلى المائدة متجاورين بحكم تأخرهم في الزول



كنوس الطلي

كان تأثير هذا البقعة الذي طرأ على قلب ليجين من جهة دافين ضاعاً على اغراء فوتران . لهذا أظهر له الفن أثناء الطعام غموراً ، مع أن فوتران كان في تلك الساعة في قمة المرح والفرح ، ينثر البعاطب عيناً وباراً ، حتى أن مدام فوكير سأله في دهشة :
— ماذا جرى اليوم حتى يستغفك المرح الى هذا الحد ؟
— أني دائماً مروح ، حين أوفق في صفقة واحدة ...
فسأله ليجين متهمكاً :
— صفقة ؟

— أجل .. فقد سالت اليوم بضاعة طيبة سأأكل عليها عمولة ضخمة !
فصاحت مدام فوكير :
— ما دام الأمر كذلك ، فلا تنسيع الوقت في الكلام ، وهات فينذك الموعد
فقال فوتران في بكون مزوج بالجد الموه :
— أيها السادة ! ان حضرة الرئيسة قدبنتنا الجدول الأعمال ! يا كريستوف .. هات البيد
— هاك يا سيدى ..
فصب في كأسى ليجين وجوريو من النبيذ ما ملائما ، ثم وضع في كأسه بضع قطع انتصاف
بطء ، ثم عيس وصاح :

— هذا ليس من أعلى طبقة . خذ هذه الزباجة لك يا كريستوف ، وهات أخرى ، مما
في الجهة اليمنى .. نحن هنا ستة عشر ، فأترل ثمانى قنينات
وصاحي لإلا دقائق ، حتى دارت على الشارين كنوس الطلي مرتعات .. وبدأت حرارتها تسرى
في العروق وتضمد الى الرؤوس .. ودوت الضحكات العالية المتلفعة من كل تحفظ ، وتطاليرت
النكات والفحشات ، وبات الكل يتعدون في وقت واحد ... حتى صارت الضجة شيئاً عظيماً
لا يمكن أن يحتملها إلا المخمورون . فلكل يهزلون ويهزون ، وفوتران يرشقهم باسماء بنظراته
المهذبة . ولا سيما ليجين وجوريو اللذين أسندا رأسيهما الى ظهر اللقد ، وقد بدأ عليهما
اعياء السكر . والواقع أن كلا منهما كان مشغول البال بما سيصنع في ليلته ، ولكنه يشعر أنه
غير قادر على القيام من جلسته . حتى إذا استبد بهما خدر الحرق ، ومالت عيناهما الى النعس ، مال
فوتران على إذن ليجين وهمس له سائراً :

— يا عزيزى الصغير ، لسا أنادأ للآب فوتران في المسكر ، حتى لتشتبك معه في صراع
غير متكافئ ... ثم هو يحبك كثيراً بحيث لا يدع لك فرصة الإقدام على حماقة .. مثل تحذير
تأخير مما ينتظره غداً ! ثم يا حبيبي ثم ! وفي الوقت الذى تأخذك فيه هذه التلة من النوم ،
يقوم صاحبي بشق طريقك الى ميراث تأخير بعد سيفه الصمصام ... فوات أخيهما سينقل إليها
ميراثاً صغيراً يبلغ دخله خمسة عشر ألف فرنك في السنة
وكان ليجين السكين يدمع كل حرف ، ولكنه لا يستطيع حراكاً ولا نداءً ، وكان شاباً
كثيراً قد ضرب أمام عينيه ... ثم خبت حواسه وراح في غيبوبة ، في حين انصرف بقية
الزلاء ، كل منهم في حجرته مشغولاً بمحالة « السرور » التى سببتها له الحرق ... عدا ليجين
وجوريو والسيدات ... وعندئذ صاح فوتران :

— لقد سكر هذان !.. ما أروع صورتهما معاً !

ثم جهل جهلهم فلا يستيقظان ، فأسند رأسيهما الى اللائدة ليناما أكثر راحة ... ثم قبل ليجين
ليجين وهو يثنى :

« ثم يا حبيبي ثم .. »

« فأنا ها هنا ساهر ! »

فقال فيكتورين بقلق :

— أختنى ! أن يكون مريضاً ..

— ابنى إذن لسهل عليه والفتاة به !

ثم مال على أذنها وهمس لها :

— هذا واجب المرأة الخالصة الطيبة ... فهنا الشاب بعيدك عبادة !

ثم انطلق فوتران خارجاً ليحضر مركبة يصعب فيها صاحبة الحان الى ملعب من ملاعب التتيل
كأوعدها من قبل .. فقال جيم جوريو حتى كاد يسقط على الأرض ، فاشتأزت مدام فوكير
وصاحت مستنكرة :

— ما أسف أن يفقد رجل في مثل سنه صوابه بفعل الحرق . هذا لا يليق . رباه ! إن
الرجل سيقع ، فأعليه يا سيليلى الى فراشه

فوضعت ... بيدها حول خاصرة الشيخ وجترته جرأً فألتهت بملابسه بهرش السرير ! ثم
هبطت مسرعة لتنى نداء سيفتها التى كانت تصيح بها أن تسرع كي تصاوتها في لبس مشدها
الكبير ك تبدو في أحسن حالاتها وأرشفها في حجة الصفاق الذى تميل إليه لقوته وجوهه وسفاته
أما مدام كوتير وفيكوتورين فانتفضتا بالثى ليجين ، سندان رأسه الذى كان يتزعج فكاد
يصطدم بالثانية أو ذراع السكرلى . وهمت أن تأخذه مدام كوتير على كتفها ، ولكن رأسه
مال الى كنف فيكتورين التى كانت بادية الفلق عليه ، حتى لقد تحرك قلب مدام كوتير فراحات

تربت على خدّها في حنان . فثقلت لها الفتاة وهي تتخلل بأصابعها شعر الفتى :

— انه مع هذا لم يزد على كأسين يا أمّاه ..

— لو كان من مدمني الشراب لنحمل سورة النبذ كما تحملها الآخرون .. ففكره شاعداً على براءته ..

ودخل فوتران في هذه اللحظة قادماً بالربة التي ستعاقبه صاحبة الحان إلى السرح ، فأرأى هذه اللوحة التي تسكوها الفتاة والفتى ، حتى عقد ذراعيه فوق صدره وصاح :

— سبعاثك ربي ! هذا لعمرى مشهد خليق أن يلهم أجل الصغعات لهذا الكاتب برناردان دى سان بيير ، مؤلف بول وفرجينى ! ان الشباب جميل يا مدام كونير ! انظرى : أما ترى ملكاً بنام على كنف ملك ؟ أرى لأغبطك يا فيكتورين ، فلو كنت امرأةً لتبنت أن تتساحل في الحياة من أجله غلب

ولم تلبث مدام فوكير أن حبست الدرج في زينة طاهر فيها الجهود والعمل ، وقد توجه وجهها لشدّة ضغط الشد الكبير على خصرها الضخم ، وانصرفت تتأبط ذراع فوتران . ولم يبد على إيجين ما يدل على قرب الفتاة ، غمّاته مدام كونير وفكتورين بمعونة سيلان الحجرته ، فأرقدته على فراشه ، وخلعت سيلان على ملامحه ، وغلّته بغطاء . فلما همت النسوة الثلاث بتفاداة الغرفة ، اخلست فيكتورين من وراء ظهر مدام كونير قلبه من وجنة الشاب المخدوم . ثم شلت الحجره بنظرة مستوعبة خاطفة ، حتى تحفظت في قرارة نفسها بصور المكان الذى يعيش فيه ومنها وفي هذه الليلة لم تنم في باريس فتاة وهي أسعد من فيكتورين دى تاغير ..



سبق السيف العذل

وكان اليوم الثالث من أرمز الأيام في تاريخ خان فوكير . فقبل هذا اليوم لم يحدث في هذا الحان حادث يغير من رتبة الحياة فيه خلا ظهور السكونس للزينة ، ولكن هذا الحادث القديم سيطويه غول الذكر القلياس إلى ما هو مزمع أن يحدث اليوم

وأول الظواهر الغريبة في هذا اليوم استغراق الشاب إيجين والشيخ جوربو في النوم حتى الساعة الحادية عشرة ، وأن مدام فوكير التي عادت من ملعب التمثيل بعد انتصاف الليل ظلت في فراشها إلى ما بعد العاشرة ، وحتى الحادام كريستوف نام إلى السطح لأول مرة في حياته لأنه شرب كل ما تبقى من نبيذ فوتران فلم يقدم الاطفال إلا بعد مواعده بكثير . وفوتران وحده هو الذي استيقظ مبكراً فخرج قبل الثامنة ثم دخل والمائدة معدة . ولكن الأنسة ميشون كانت أول من هبط إلى القاعة وبقيت فيها وحدها ريثما يطوف الحادام والطباخة بمحركات التزلاّ لايقاظهم من نومهم الطويل . وانتهزت ميشون هذه الفرصة فصبت في وعاء اللين الفضي الحامس بقهوة فوتران ذلك المحجور الذى زودها به جوتدورو ، ثم بدأ تحطّام التزلاّ على القاعة ، وكان آخرهم إيجين الذى وجد في انتظاره رسولا من قبل البارونة ليجين دى نوسينجين يجعل اليه منها خطاباً هنا نصه :

« لت أحب السكبرياء الكاذبة ، فلا أنكر عليك أنى انتظرتك الى الساعة الثانية بعد منتصف الليل كما تذطر المرأة الرجل الذى تحبه ! ولعمرى إن الانسان الذى جرب مرة في حياته هذا المذاب الأليم لا يطاوعه قلبه على إذافته لأحد ، وقد استنتجت من هذا أنك لم تحب من قبل . فاذا وقع لك فتوقك عن الحضور ؟ إن اتفاق عليك بنهش فني ، ولولا خشيتى من المارة قلّة الحضور . لكن حضوري للاطمئنان عليك بالأمر أقرب شئ إلى الوقوع . ففسر لى تخلفك عن الحضور . هل تشكو مرضاً ؟ أو نوسل اليك أن تسقى بكلمة منك ثنى غليلي وتؤكد لى عزمك على الحضور في أسرع وقت مستطاع . »

فلما فرغ الفتى من تلاوة الخطاب جعل يصيح وهو يقتحم قاعة المائدة :

— ماذا حدث لى ؟ كم الساعة الآن ؟

فأجابه فوتران وهو يضع السكر في قهوته :

— منتصف الثانية عشرة ثم رشى الفتى بنظرة فاحصة هادئة ، فوجم الفتى وإن كانت أوصاله

ترتعد غضبا . وفي هذه اللحظة سمع أمام الباب صوت عربة مبرعة وقفت فجأة وهبط منها حاجب من حجاب السيد نايفير عرفته مدام كوكير لأول وهلة ، وكان بادى الرعب ، فصاح بالآنسة فيكتورين :

— يا آنسة ، والذك يطلب حضورك حالا . لقد حل بنا خطب هائل : فقد اشتبك السيد فريدريك شيفيك في مبارزة وأصابته ضربة سيف في جبهته وأعلن الأطباء بأسهم من نجائه ، ونسأل الله أن تكون هناك فرصة لتوديعه الوداع الأخير . . . فانه قد فقد الوعي ودخل في طور النزع

فتفت فورتان :

— يا للشباب المسكين ! ولكنه كان في غاية الحمى إذا اشتبك في هذه المبارزة . فهل يتناجر الرء ولديه ثلاثون ألف فرنك دخلا سنويا صافيا ؟

فصاح في وجهه إيجين :

— سيدى !

فأجابته فورتان وهو يحسو قهوته يهدوء — والآنسة ميشوتون ترمق احسانه لما بين لا تنقل :

— ماذا تريد يا بى أن تقول ؟ أتريد أن تقول أنه لا تحدث في كل يوم مبارزات شتى في مدينة باريس ؟

وفالت مدام كوكير :

— سأتي معك يا فيكتورين

وأسرعت للرائتان كما هما إلى العربة . وفالت مدام فوكير :

— إن هذا التريب ! ثلثت يخطب خطب عشواء الأبل ، فيتهبل الصغار قبل الكبار . ولأنه لمن حسن طالعنا نحن النساء ألا تعرض للمبارزات . وإن كنا تعرض لآلام أخرى لا يتعرض لها الرجل مثل غشاش الولادة . ولكن هذه المصيبة ستفيد منها فيكتورين ثلاثة كبرى ، سيضطر والدها لاحتضانها -

والفت فورتان إلى إيجين وقال له :

— ان التي كانت بالأمس معدمة هامة قد أصبحت اليوم من ربات الملايين

وفالت له مدام فوكير :

— لعمري ياسيد إيجين لقد وضعت يدك على كثر فريد !

فنبهت هذه العبارات الأب جوريو فنظر إلى التي تستغرب ، فأسرع إيجين يقول لمدام فوكير في تفرز ظاهر آثار دهشة المحاضرين :

— لئني ياسيدتي ان أتزوج الآنسة فيكتورين

وقال حاجب دلفين :

— انى في انتظار الجواب ياسيدى

— قل اننى حاضر

وانصرف الحاجب وإيجين لا يزال في حالة عصبية في غاية العنف فهو يحدث نفسه ويلوح يديه ، ثم هز كنفه أخيراً وقال بصوت مسموع :

— ولكن ماذا أصنع ؟ ليس تحت يدى أى اثبات

فابتسم فورتان ولكن ابتسامته لم تطل ، فقد سقط على الأرض بلا حراك ، فصاح إيجين :

— حقاً ان في السباه لعدلا لهما !

وصاحت صاحبة الخان مذعورة :

— ما الذى جرى للسيد فورتان ؟

فأجابتها ميشوتون :

— نوبة صرع ليس غير . . .

وأسرعت سياتي لتدعو طبيباً ، وأسرع إيجين لينادى بيان شون طالب الطب . وتعاون كريستوف ومدام فوكير وبواريه وميشوتون على حمله والصعود به إلى غرفته . أما جوريو فلم يشترك معهم بل انصرف غير عابيه لمرى ابنته ، وطلبت ميشوتون إلى مدام فوكير أن تحضر لها زجاجة إيثير ، فغلا لها الميدان فزعت قبض الرجل وغريته على كنفه فظهر طابع الايمان أبيض اللون في وسط الموضع المحمر من أثر الضربة ، فصاحت هى وبواريه فرحا بالثلاثة آلاف فرنك ، وهى الكفاة الموعودة . وفي هذه اللحظة سمع صوت مدام فوكير قادمة ناهث وقف يدها زجاجة الإيثير ، وهى لا تملك نفسها من الجزع على المعالئ للمريض . . .



نهاية عملاق

ذهب إيجين لينز في الحديقة العامة ليعاود استنجاح شتات أعصابه ويراجع نفسه فيها هو مقبل عليه ، فقاد إلى ذاكرته حديث الأملس الذي دار بينه وبين جوروي ، عن ذلك المسكن المصري الأنيق الذي أعد له ليكون عش غرام يستقبل فيه دافن ، ويمش فيه بدلاً من الزول في هذا الحان الحفير . وأخرج خطابها فجعل يتلوها مرة أخرى ثم قال لنفسه :

— إن حباً كهذا هو طوق النجاة لفريق مثل — ولن أتخلي عن الألب جوروي ، فهذا الرجل يتألم في صمت ، فساد كون له بمثابة الابن البار . وسيسعد الشيخ لأن ابنته مادامت تحبني فستاناً ولا ريب لتضيق — حباية النهار في جوارى فينسي له أن يراها . أجل إن دلتين طيبة القلب ، على خلاف هذه التمجيزمة استنازي دي ريتو . فاسعدني بحبا ، وإن أحلاني بالوصال ستنتفيق ابتداء من هذه الليلة

ثم جعل ينظر في الساعة التي أهدتها إليه وقال :

— لقد تحققت جميع آتالي ، ولا خير أن أقبل منها الهدايا والمعونة مادام الحب قد جعل ما شخصاً واحداً ، وطبعاً طبعاً سارد إليها هناك مضاء مائة مرة حبنا أصل إلى مغالاة التروية . ولا جناح علينا أن نتعاب ، فهي في حكم الطليقة لأنها قطعت علاقتها بزوجها من زمن ملوطين وأوسدت دونه باب غدها . وبما قريب سيمير في مكان أن أواجه هذا الالزاسي وأقول له : دع لي امرأة لم يعد في طاقتك أن تسعدها !

وهكذا أوقع الفتى نفسه بأن ماحو مقدم عليه حل له ، وأن ماتوريط فيه لا يلحقه منه وزر ، فلما انصرفت الساعة الخامسة عاد إلى المنزل الذي سينفاده بعد يومين إلى غير رجعة كي يعرف هل مات فوتران أم نجا . فوجده حين دخل واقفاً على قدميه أمام المدفأة في قاعة المائدة التي تجيم كل الزلاء عدا جوروي ، ملهفين على تفاصيل التغير المائل الذي طرأ على حياة فيكتورين . فلما دخل إيجين انفتحت نظراته بنظرات فوتران الذي ابتسم وقال للفتى وكأنه يقرأ أفكاره :

— لقد نجوت من الموت بأعجوبة ، فهل تراك آسف لتجاني ؟

وفي هذه اللحظة سمعت ضجة يحدثها بضعة رجال وخطوات عسكرية ، ثم ظهر أربعة رجال أولهم رئيس إدارة المباحث ومعه ثلاثة ضباط صاح أحدهم بين دهشة الماضرين :

— ياسم القانون وباسم الملك !

وساد الصمت قاعة المائدة ثم تقدم الضباط الثلاثة وأيديهم على مكدساتهم إلى وسط القاعة في حين انتشرت ثلة من الجند حول جميع الأبواب والنوافذ وتقدم رئيس الباحث نحو فوتران فابتزع من فوق رأسه طائفة الشعر المستعار ، فبدت رأسه ضخمة عاطلة إلا من شعرات حمراء . وصعد الدم إلى وجهه ولمت عيناه يبريق كبير يقطع القطع المتوحش ووثب من مكانه وثبة أطلقت صيحات الرعب من جميع الحاضرين ، ففسهر الجنود والضباط عليه مكدساتهم وبنادقهم ، فأدرك أنه قد استحال عليه الفرار وأن المقاومة لا طائل منها ، فابتسم وأشار إلى طائفة شعره المزروعة وقال لرئيس الباحث :

— أراك لست اليوم في أدبك اليهود !

ثم بمد كلتا يديه إلى الجنود وأومأ إليهم برأسه أن يقتربوا

— دعوا فيهما الأغلال ، وأنا أشهد الحاضرين جميعاً على أنني لن أبداً أى مقاومة

فصاح رئيس الباحث :

— اخلعوا عنه ملابس

— وماذا ؟ في القاعة سيدات ثم أنا معترف وأسلم نفسي

وتهمل قليلاً وهو يدير في الحاضرين نظراته كما يفعل الخطيب حين يهيم بالكلام

— سجلوا أنني أقر بأني جاك كولان المشهور باسم قاهر الموت ، والمحكوم عليه بعشرين سنة مع الشغل

وعاد يتفحص وجوه الحاضرين ثم استطرد :

— من الذي وشى بي ؟

واستقر بصره على الآنسة ميشوتون

— .. انه أنت أيها العجوز الدرديس ! أنت التي دسست لي هذا الخدع ، وفي استطاعتني أن أجعل انتماي يلحقك وأنا داخل السجن في ظرف أسبوع واحد . ولكنني أغفو عنك ، فأنا رجل غفور متسامح

وفي هذه اللحظة كان الجنود قد فرغوا من تفتيش حجرته وجاؤا يهيمسون في أذن رئيس الباحث بكلام فجعل فوتران يقلب ناظره في وجوه جيرانه السابقين ويشكر لهم عشرتهم الطيبة ثم خطا خطوة نحو الباب مع حراسه وانفتحت إلى إيمن دى راستياك فقال له بصوت رقيق يفيض أسى :

— وداعاً يا إيمن ولكنتي لم أغفل عنك نهائياً ، فإذا حزبك أمر فهناك صديق يركن إليه أوصيته بك ، وسيفه وماله تحت أمرك

واستماع رغم القبود الى تنكيل يديه أن يثقل حركات معلم السيوف ، ففهم ايجين وحده من الذى يعنيه فوتران ، فهو صديقه ضابط الحرس الذى يارز شقيق فيكتورين وقتله وغادر فوتران مع الجنود خان فوكيرالى غياهاب الليان . وأقيلت سياتى الضابحة ترمب عارضى سيدتها بالخل والكحول عماها غريق من الانغماء الذى أصيبت به . وهزمت الضابحة السمينة كشفها فى أسى وقالت متحسرة :
— ومع هذا فقد كان رجلاً أى رجل . .

وكر الغرام

يوم حافل !

فناة تغلب من الفقر المدقع الى الثراء الطائل فى طرفة عين . ورجل عملاق يصاب بالانغماء ، ثم ينكشف الستور ، فإذا هو بجرم هارب من الأمان ، وهو مع هذا يحب الفتى ايجين لفيرسبب ظاهراً ، ويترك له عند صاحبه توصية إعطائه كل ما يطلب من مال ، وتقديم كل ما يحتاج اليه من مونة ، ولو اقتضى الأمر أن تزهق روح !

والفتى البهوت يستيقظ قرب الظهر ليجد خطاب غتاب و مناجاة غرام ، وليلم أن السعادة تنتظره إذا جن الليل ، وكان قد حسب التعلق بوصل دلفين تعلقاً بالخال . فلا غرو أن تراه مشغولاً بهذه الأحداث وما تركته فى نفسه ، وهو مستقل الحرية الى جوار الأب جوربو ، فى طريقهما الى لقاء دلفين فى « عش الغرام » الجديد

وكان الشيخ ظاهر السرور ، كأن أحداث اليوم لم تنل منه :

— لقد انتهى عهد الشقاء ، وسنمتنى الآيلة ثلاثنا معاً . معاً ! أتدرى ما معنى هذا ؟ معاً ! لقد اقتص أربع سنوات منذ تمثيت آخر مرة مع عزيزتى دلفين . أما الآيلة فستكون لي طول السهرة ! وقد كنا معاً منذ الظهر فى بيتك الجديد ، لإتمام الاستعداد لاستقبالك فيه . ثالثة لقد كنت سعيداً وأنا أحمل كالملة الأجزاء فى قتل الأثاث وتنظيفه . . . والآيلة سأقبض عن هذا التعب ، فأنت لا تدرى مدى طيبة قلب دلفين ، خذ هذه يا بابا . فهى قلمة طرية وطعمها لذيذ ! . . . اليوم يا صاحبي يوم فاصل

— أجل يا أبى العزيز ، فقد زالت الأرض اليوم زارالها !

— زالت زارالها ؟ كيف ؟ فلست أرى فى الشوارع لآل وجوهاً زهاها البشر ، كأن كل واحد منهم سيمعد مثل العشاء مع ابنته . لانه عشاء لطيف يا ولدى العزيز . سمعنا بأذنى غناب أصنافه من طباع الفهوى الانجليزى . . . مع أن الصاب والعنقم يكون لها نغم العسل فى فم من يشاطرها الضمام . . . ماذا دهاك أيها المحوذى ! ما هذا الابضاء ؟ أسرع يا هذا . . . وسأعطيك خمسة فرنكات زيادة على أجرتك اذا بلغت بنا مقصدنا قبل عشر دقائق !

فاسمع المحوذى هذا القول حتى جعل يرقق فى شوارع باريس مثل السهم الرابض . ولكن الأب جوربو جعل يتقلب فى مقعده ويقول :



— تَباً لِهَذَا الْخَوْدَى ! إِنَّهُ لَا يَتَحَرَّكُ مِنْ مَوْضِعِهِ !

ووقفت العربية أخيراً في شارع « دارتوا » ، فزّل الشيخ والشاب وصعدا سلم بيت من داخل رحبة ، وطرنا باب ممكن يطل على الجهة الخلفية من البناء ، فلا يرى السابلة في الطريق العام من يعيش فيه أو يطل من نافذته . ولم تكن بالأب جوروي حاجة إلى طرق الباب ، لأن الوصيقة « تيريز » كانت أسرع إلى فتحه . فألقى إليهم قسه في ممكن أقيم فاخر . تعال حجراته الثلاث على الحديقة الخلفية . وفي الصالون الغنم الرشيق رأى على ضوء الشموع دلقين دى توشجين نهض من جلسها بجوار المدفأة ، فاحتواها بين ذراعيه وضعاها إلى صدره بحرارة ، وقد دمت عيناه من الفرح ومسح الأب جوروي عينيه وقال لابنته :

— أنا خير بالفلوب . لهذا كنت وافقاً أنه يجيك أعظم الحب

وصحبت دلقين إيجين فطلقت به أرجاء الحجرات ، حتى دخلت به حجرة أذكرته في تأنيثها وترتيبها حجرة دلقين الخاصة في بيتها ، ولكنه قال مستفرباً :

— ولكن ليس هنا سرير !

فقال له وقد أحر وجهها ، وهي تضغط على يده بحرارة :

— أجل . . . لا سرير . . .

فأدرك مقدار وخز الحياء الذي تثمر به ، فأقبل عليها ماعافاً مبعلاً :

— أنت فريدة بين النساء يا حبيبتي وحبنا أيضاً فريد ، لهذا يجب أن نعونه عن عيون جميع الناس

فصاح الأب جوروي :

— وأنا ؟ هل أنا أيضاً ضمن هؤلاء الناس ؟

— كلا يا أبانا إنما أنت « نحن » ونحن أنت . . .

— هذا ما أريد . لا تلتقي إلى بالا ، وكأني غير موجود . لا تخرجوا أُمّى رأييت يادلقين كيف جاء اختباري سايما ؟ إنك كنت غير مقتنعة ، ولكني أصبرت ، وهأنتي تجبين ثمرة السعادة . وهأنذا قد منحتك الحب كما منحتك الحياة !

وصاح إليهم :

— ولكني رجل فقير . ولا أستطيع أن أقبل هذه الأشياء كلها ، لأنها فوق طاقتي

المادية . . .

فاستامت دلقين وهفت به :

— إن رفضك لا يعمل إلا معنى واحداً ، هو أنك غير واثق من بقاء قلبك على عيني دون أن يتحول يوماً أما إذا كنت تحبني ، كما أحبك أنا ، فلماذا تتردد ؟ ولو عرفت مبلغ هوائتي بالإشراف على هذا البيت وتضرب شئونه ، لما ترددت لحظة واحدة ثم ما معنى

ترددك في قبول هذه الأشياء الثافهة ، وأنت تطلب مني ما هو أغلى منها ولا شك فإني يجب حقيقة وطلب المنحة الكبرى ممن يجب ، خلق أن يستمن بأي منحة أخرى بجانبها ! أقنعه يا أبي أنت حتى تستطيع أن تصفي

— اسمع يا ولدي . إنك لازلت على أبواب الحياة ، فاصنع إلى : هل أمامك وسيلة دفع تمن هذا الأثاث غير الاستعانة من الرايين اليهود ؟

— هذا هو الحل الوحيد

— عظيم ! هأنذا قد وقفت في الفخ . أنا هذا اليهودي الذي ستقتض منه . لأنني أنا الذي دفعت أثمان كل شيء ، وهذه هي « القوانين » ، ومجموعها لا يتجاوز خمسة الآلاف فرنك . فأنت مدبل في بهذا المبلغ الذي أفرضك إياه . ولا يمكن أن يكون لديك ماع . من هذا لأنني لست امرأة حتى تستنكف أن تكون مدبلاً في . ولا بأس أن تحرر لي مستنداً بالمبلغ في أي وقت

بقال المدمع في عيون الفتى والغفلة وقد تبادل عبارات الدهشة ، وشد راسيتيك على يد الشيخ الطيب وقد تجز عن الكلام ، فقال جوروي ببساطة :

— ولم لا ؟ ألسنا مافلي العزيزين ؟

فسأله ابنته وهي لا تزال مبهوتة :

— ولكن كيف استطعت يا أبي أن تسدد من وراء ظهرى هذه القوانين ؟

— هاك : عنفا رأيك وقد استخفك السعادة بتأسيس هذا السكن كتابك هروس تشتري جهاز هرسما ، قلت في نفسي هأني ابنتي ستورط نفسها في عسر مال سيكدر عليها سعادة جها الناسي وقد قال لي الحماي إن إجراءات استرداد بآنتك من زوجك يلزمها ستة أشهر على الأقل . فبعت جزءاً من إيرادي السنوي وسددت أثمان هذه الأشياء . وقد بقي من الأيراد مائة فرنك شهرياً تكفي وتفيض عني ، فبني سأشعر كما لو كنت أميراً متوجاً في غرفة السطح التي تعلو هذا البيت ، ما دمت متمتعاً برؤيتكما سعيدين

فهجعت عليه ابنته واحتوت بين ذراعيها فأجلسها الشيخ على ركبته كما لو كانت طفلة صغيرة وحل يهددها ويداعب شعرها وخديها ، ثم صاح بها :

— إنني لم أشعر منذ عشر سنين بمثل هذه السعادة ، فلا تريدني منها ولا تفتني فإن قلبي يكاد ينشق من سرعة دقاته ، دقات الفرح

ثم احتضنها بشدة فصاحت :

— لقد أوجعتني !

— أوجعتك ؟

وشعب وجهه شحوباً شديداً وجعل يتألمها في فزع ، فهبت إليهم لهذا الاخلاص الذي يصل

الى حد الهوس ، ولكنه لم يخل من إعجاب شديد بهذا الحب النادر
وأقبلت دلفين على الشاب فتخلت شعره بأصابعها وقيلت جبينه . فقال لها أيوما :
— اعلمى أنه رفض من أجلك الزواج من أكتة تابعه ورثة الملايين . أجل يا إيمى ، إن
القناة كانت تحبك حباً حقيقياً ، وهامى قد غدت بموت أخوها صاحبة ثروة خيالية
فصاح به إيمى عاتياً :

— ما كان ينبغي أن تقول هذا الكلام

— عفوك ! فهذا أسعد يوم مرى منذ زواج ابنتى . والآن لا أبلى ما يجرى على به من
فضاء الله ، فقد قرئت عيني برؤية عزيزتي دلفين في قة السعادة . ماذا ؟ إننى قد تمتعت في هذه
الساعة الواحدة بمقدار من السعادة لا يستطيع أن يشعر به جميع أهل الأرض في حياتهم ملوفاً .
والآن الى الطعام !

وانقضى الطعام في فعال صبايئة ، فقد كان الشيخ الذى ناهز السبعين أحدث سنأ في هذه
الليلة من التابىين الماضقين : فهو يرقد تحت أقدام ابنته حيناً ليقبلها ، وحيناً آخر يحدق في
عينها برهة طويلة ، أو يمرغ وجهه للتفتش التهلل الأسارير في دهب ثوبها . . . فقد كان
الرجل غموراً دون أن تحس الآخر شقيقه ، فهو يحب ابنته الى حد السكر بطلعتها واتلى بحديثها
وأخيراً قال الفتى :

— أرى أنه لا بد أن غفرت الليلة ، فليس هنا مكان للبيت

— غداً سيكون كل شيء قد تم لإماتك . . ولكن لا تنس أنك ستعشى معى في بيتى ،

لأن الليلة للليلة من ليالى الأوبرا الإيطالية

وقال الأب جورىو :

— سأذهب أنا أيضاً ، ولكن في الصالة مع عامة الناس ، حتى أستطيع أن أمتع برؤيتكما

وأتمترتان المقصورة

— الى غد إذن . . .

وكان الليل قد انتصف



الدعوة المشتهية

ونحو ظهر اليوم التالى تلقى إيمى خطاباً أنيقاً عليه شعار آل بوسيان ، وجد فيه دعوة
بوجهة الى البارون والبارونة دى نوسينين لحضور الحفلة الراقصة الكبرى التى تقبها الفيكونتنس
دى بوسيان ، ومع الدعوة رقعة بخط الفيكونتنس : « لبد خطر لى أنك ستقبل عن طيب خاطر
إبلاغ تخيالى الى البارونة دى نوسينين . وإنى أرسل اليك مع هذا الخطاب الدعوة التى طلبتها
منى ، وأنه ليسرنى أن أعترف الى شقيقة الكونتنس دى ريسنو ، فأحضرها معك ،
وتقبل تحيى . . . »

فلما تمعن الفتى في هذه السطور أدرك ان ابنة عمه لا تعبى الى حضور البارون حفلة الراقصة
فسر لهذا وأسرع الى بيت دلفين لأنه يعلم أنها ستسر سروراً لا مزيد عليه بهذه الدعوة التى
طلبتا اشتبتها ولم تكن تعلم أن تحصل عليها يوماً ما ، فوجدتها في الحمام ، فانتظرها في حجرة
زيتنها وهو يتعرق شوقاً الى استجلاء طلعتها ، ووردت على خاطره صورته وقد أقلل من الريف
منذ سنة ساذجا حاملا خجولاً فقيراً متبوءاً ، فإذا هو اليوم أنيق له حظوة عند الحسان ، وله
عشيقه من أجل وأبرز لسان المجتمع الباريسى . .

ونبهته الوصفة تميز الى خروج سيدتها من الحمام ووجودها في مخدعها ، شغف الى هاش
ليدها مستغلية على مقعد طويل بمحاور البار وعليها غلالة من حرير موصل ، فبادرها بقوله :

— ما تظنين أننى أحمل اليك ؟

وجلس الى جوارها وتناول يدها ليقبها

وبدت عن دلفين صبيحة فرح طامح حيناً قرأت الدعوة ، وحولت الى إيمى عينين متضائبتين
بالدمع وطوقت عنقه بذراعها لتضمه الى صدرها في نشوة عارمة من السرور المزجج بالرهو
— اسى مدينة لك انت بهذا الهاء . اجلى اننى اسمى هذه الدعوة باسم الهاء ، لأنها أكثر
من نصر اجتماعى بمحبتها عن طريقك أيها الحبيب . فامن أخذ رضى أن يتقدمنى الى المجتمع
الراق أو البلاط حتى جئت أنت . .

— ولكن ألم يبد لك أن الفيكونتنس قد أظهرت في خطابها رغبتها عن حضور

البارون معك . ؟

— أجل هذا واضح ، ولكن ما الضير ؟ سأذهب وحدى معك . ان شقيقى ستكون

هناك . وقد نما إلى أنها تستمد لهذه الحفلة ثوب رائع . لأنها تتظاهر بالمرح في هذه الحفلات في
الليلة الأخيرة لتتخفى سرها المائل : فقد استعان مكسيم دى ترى مائة ألف فرنك وقت
سداده وتهدوته الفضيحة ، فأقدمت استنازى على بيع مجوهراتها الثمينة ، مجوهرات أسرة زوجها
التي تتوارثها كوتنس دى ريسنو من حلتها جيلا بعد جيل . ويقال أن زوجها قد اكتشف
الأمر أو كاد . فأنا أتوقع في هذه الحفلة أن تتكون شقيقتي في أميس زينة لتقطع السنة للتقولين
وستتجهد على المصوص في ذلك لأبني سأكون حاضرة ومى تحب دائما أن تتفوق على . ولكنى
في هذه الليلة سأفوق عليها ، ولو بنور السعادة الذى يتبع من وجهي يحبك
وافترق الماشقان على موعد اللقاء الذى لا فراق بعده

وهكذا بات إيجين ليته على ثقة من أنها ليته الأخيرة في خان فوكير . فلما مر القى بياب
جورجو حاول الشيخ أن يستوقفه ، ولكن القى قال له وهو يغشى :
— غدا سأقضى عليك كل شيء . أما الليلة فدعني أنام لأني متعب ، ولأن الانتقال إلى
مكسنا الجديد سيحتاج إلى جهد جهيد

دلفين عند أبيها

وفي اليوم التالي كان إيجين وجورجو على أم هبة لمقابلة الخان عند حضور حاجب من لندن
البارونة يجريها أن الوقت قد حان . ولكن قرب الظهور سمعت في الشارع الهادئ ضجة عربية
ظاهرة تنفد أمام باب الخان مباشرة ، وتزلت منها البارونة دى نوسنجين وسألت إذا كان أبوها
لا يزال موجوداً بالخان . فلما أجابها سباني الطليخة بالإيجاب أخذت تصعد الدرج في خفة .
وكان إيجين في حجرته والأب جورجو يظهده قد غادر الخان إلى المدرسة ، ذلك أنه عاد ليتأكد
من أنه لم يترك . من خصوصياته في الهجرة لم يضعه في حقايبه . وسر كثيراً عندما وجد في
درج التفتد ذلك . عند الذي كان قد كتب في أوتران واسترده منه إيجين في اليوم التالي . ولما
كانت المدفأة خالية من النار في هذا الوقت فقد فكر في تمزيقه ، عندما سمع صوت دلفين فأضعت
ليتيهه اعتقاداً منه أنه ليس لها أسرار تطويها عنه . ومن أول عبارة سمعها وجد الحديث شائناً
بحيث استمر في الاصغاء إليه :

— الحمد لله يا أبي أنك طلبت رجباً في الوقت المناسب فصل ثروتي الخاصة عن ثروة نوسنجين
قبل أن يلغفها الحراب

— ماذا حدث إذن حتى لم تطبق صبراً بضغ دقائق أخرى تكون بعدها ممأ في شارع دارتوا
— أه يا أبي ! وهل تكون للانسان سيطرة كاملة على أفعاله وحركاته حين تلم به كارتة من
الكوارث ؟ لقد طار صوابي ، فقد أضلنا عمايك على الكارثة قبل أن يذبح خبرها بين الكفاة ،
فإن الخاى لما رأى زوجي يلجم من الاعتراضات والعيقات المتعلقة شيئاً لا آخر له حتى لا يؤدي
إليه بالثني ، هدهد بقضية مستعجلة وبأقامة حارس قضائي . فدخل على نوسنجين هذا الصباح
وسألني هل أسمى إلى خرابه وإفلاسه صعي يجتهد ؟ فأجبت أنه لا أعرف شيئاً عن هذه
الاجرامات ، وأن كل ما أريده هو مالي الخاس الذى يجب أن يكون تحت يدى ، وأن كل
ما يتصل بأمر هذا المال موكل إلى الخاى . أليس هذا يا أبي ما أوصيتني أن أقوله ؟
— أجل

— فصرح عندئذ ييسط أمامى موقفه السالى ، فقد أتى بجميع ما تحت يده من الأموال
— ومنها بالثني طبعاً . في مشروعات ناشئة لم تأت منها أية ثمرة بعد . فإذا أزم برد بالثني في
الوقت الحاضر اضطر إلى تقديم دقائمه وإعلان إفلاسه . في حين أنني إذا أمهلته فامأ آخر فانه



يتعهد بشرفه أنه يرد إلى مالى ضعيفين أو ثلاثة أضعاف . وقد لست فيه يا أبى حرارة الصدق ، وأقبل على متوسلا مستغفراً عما سلف منه في حق من سوء المعاملة ، ورخص لي في الحماية على هواي ، لا رقابة له على شأن من شؤون أو مسلك من سلوكي ، بشرط أن أوع له حرية التصرف في مالى باسمي . ووعدت أن يستدعي عاميتنا قبل كل عمل خطير تتأثر به ثروتي . وطلب كذلك أن يظل ميزان الصرف على حاله فلا أغرق في الوقت الحاضر أكثر مما يسبح فيه ، ويرهن لي على أنه بوضعه الراهن فوق قدرته ولكن ستر الظاهر ضروري . وما داني على صدق هذا الزعم أنه سرح الرافضة التي كان يجوزها . فلما شددت عليه التكرير وكابرت في التسليم بصدقه ، قدم لي دفتاره وأطعني على الحقيقة المؤلة ، ثم بكى ، وجعل يتكلم عن الانتحار وكأنه جن ، فهو يهذي ومهرف حتى أخذتني به الشفقة

— وهل انطلعت عليك هذه الخزعيلات ؟ انه ممثل . سئلتني أنا فقد احتككت بالألمان في ميدان الأعمال ، وفي في الغالب حسنو البية ومستقيون ، ولكن إذا خطر لأحد منهم أن يستعمل الخبث تحت ستار الطيبة والصراحة ، فإنه يقدم تلميحاً ذا دهاء . ان زوجك يستغل طيبة قلبك ويريد أن يستغل اسمك أيضاً كما استغل ثروتك في أعماله الهدمة بالخراب . كلا ! ان أرضي هذا لك ، فما زلت خبيراً بالتجارة عارفاً بأسرار الأعمال . انه يزعم أنه وضع جميع الأموال في مشروعات ناشئة . فهو إذن يملك تحت يده أسهماً وانفاقات في مقابل هذه الأموال . فليقدمها إذن وليحول إلينا نصيبك منها بحسب ما ينحك . وأعدك أن أختار أحسن هذه الأسم

وأكثرها ضماناً . أم هل يظن بنا الفلقة وقصور العقل ؟ أم تراه يسهى أصبر يومين لا عامين على تركها ضماناً . بل لا سند في الحياة ؟ هذا أمر لن أقبله أبداً ، أم هل تراه أن أكدر أربعين سنة مديدة لكي ينتهي الحال بترككنا مجردتين من ضمان لقمة العيش ، ولكي أرى كل هذا التعب والاجتهاد يتبدد أمام عيني كما تنبذ حلقة من الدخان ؟ وأنى لأقسم بكل مقدس في الأرض والسماء اني سأسوى الأمر معه بما يصون مصالحك ويرد عنك شره هذا الخيال . سأراجع دفتاره ، ولن يغضن لي جفن أو أناها بطلام أقبح به أودى قبل أن أتخفق من صيانة أموالك كاملة . وإذا لم تستقي الحاكم التجارات إلى البرلمان . سأقلب الدنيا قبل أن أسلم لحظة واحدة بتجريدك من هذا للبلون الذي شقيت طول حياتي لأوفره لك . يا لأمي ! ان تاراً حامية تستمر في صدري وأحشائي ، وكأن حريقاً هائلاً قد شب في دماغي . دلفيني ابنتي لا تملك ثروتي تقيهم ؟ كلا وربي ! أين تقارزي ؟ هيا بنا ! هيا بنا لطلع على الدفاتر الآن ونضع يدنا على المراسلات والخزينة ونفحص كل شيء في الحال . فلن أعرف لنوم طمأ قبل أن أمسك عليك . هيا قبل أن تستع الفرصة ليهرب بما اختلته من مالك ، لأنه موقف أنني لن ألتصق بالوحد ذلك الاسم الذي تحمله ابنتي

— مهلا يا أبى ! اني أشققت عليك ولم أصارحك بكل شيء . أندري ماذا فعل هذا الوغد على النحيق ؟ أندري ما هذا الذي يسببه مشروعات ناشئة لا تزال عقيم ؟ انه يشتري الأرض

الفضاء باسمي ثم يبني فوقها بيوتاً تحت ستار أشخاص آخرين يتعاقدون مع القوافل على تسديد التكاليف على أجيال طويلة ، ثم يبيعون زوجي البيوت بعد أن تم يتبن شخص ، ويعلنون بعد ذلك افلاسهم للتخلص من ديونهم قبل القوافل . أما البالغ ذات القيمة التي تحت يده فإنه يشتري بها عقارات وأسهما باسمه خارج البلاد ، بحيث لا تصل إليها أيدنا

وق هذه اللحظة سمع ليحين صوت سقطلة قوية ، فقد انهار الأب جوريو على أرض غرفته وهو يصبح بصوت متعثرج :

— وارضع لك يا ابنتي ! لماذا رحت أن أسلك لهذا الوغد الذي اعتصرحك واشغاك ؟ — وهل تدري يا أبى المعنى الذي قصد إليه يتحن الحمية ؟ انه يعني بذلك مساوئتي على ترك الحبل لي على الغارب في علاقتي بإيحين في نظير تخويلي إياه القى في استقلال ثروتي . فهو يريدني أن أدفع هذا الثمن إذا شئت لا أعقل في البيت فلا أنصل بإيحين . ولكن لماذا تلوم نفسك اني هذا الحد ؟ ان الخطأ عمتي أنا لأنني أنا التي تغيرت هذا الزوج ، فلا تبك يا أبى

— ولا تبكي أنت أيضاً يا دلفين . قربي عيتيك حتى أجف دموعها بشفتي . هه ! انه ضمني لأستعد لمحاولة هذا النصاب

— بل دعني أنا أنصرف في الأمر ، فهو يحبني وأنا مستطعة أن أستغل سلطاناً عليه لاستغلال جزء من حق . ولكن تعال غداً لطلع على الدفاتر ، فالخاي لا ينفقه شيئاً في الأساليب التجارية . بل ليس غداً ، فاني لا أريد أن أكدردي في اليوم السابق للحفلة الراقصة الكبرى عند الفيكوتس دى بوسيان ، بل أريد أن أبدو جيلة سعيدة في صحة عزيزي إيحين . فهيا بنا لأرى حجرة ...



المصائب لاتاتي فرادى

ولكنهما لم يتحركا من موضعهما، لأن صوت استنازى دى ريسو سمع في السلم، وهى تصعدا نهياً إلى حجرة أبيها، فأخذ حضورها في هذه اللحظة ايجين من انكشاف وجوده في حجرة وسامعه هذا الذى سمع فلما سمعت دلتين صوت أختها، قالت لأبيها :

— آه ! ألم يملك شيء من الاستنازى ؟ فانه يجبل إلى أنها تعاني متاعبى أيضاً في إيتها — ماذا تقولين ؟ هذا فوق ما أحتمل - ان هذه تكون ثالثة الأثافي، وخاصة المظهر ! أما تأني المصائب أبداً فرادى ؟

ودخلت الكونتس، فأدعسها أن تجد دلتين عند أبيها في هذه الساعة، وشعرت بشيء من الترحج والضييق. فقالت لها دلتين :

— أهلا ؟ نازى .. أيدعشك أن تربي هنا ؟ لا تستعزبي هذا، فاني أنا أراه يوماً ولا أقصر في ذلك !

— منذ متى ؟
— لو كنت تأتين لزيارته، لعرفت منذ متى ...

— دعى الماكفة باقة يادلتين فاني امرأة شقية ... أدركنى يا أبى، فقد قضى على التفاه الأخير هذه المرة

— ماذا ألم بك يا ابنتى ؟ صرسي بكل شيء، وأنت يادلتين تطلني معها، فيجب أن نتعاون في وقت الهنة ... فان هذا يميلني أحياناً أكثر مما أضل، لو أن هذا في الامكان !
فناك دلتين وهى تربت على أختها وتساعدنها على الجلوس :

— تكلمى يا نازى، فأمامك الشخصان اللذان يعبان في هذه الدنيا حياً خالصاً لاهية فيه ولا زغل ...

وقربت من أختها « الأملاح » حتى يفرغ روعها، فلما استردت هدوءها قالت في أسمى :
— ساموت يا أبى ! ان زوجي يعلم كل شيء . أذكرك يا أبى ذلك الدين الذى كان مستحقاً على مكسب منذ مدة ؟ انه لم يكن الأول من نوعه، فأكثر « الشيكات » التى يجررها وليس مقايها ما يظلمها ... وكمن مرة قت بدفع قيمتها . ومنذ أكثر من شهر بدا لي مكسب كثير

السرود، ولكنه لم يصرح لي بشيء ... بيد أن المرأة تحذف قراءة سرائر الذين تحبهم . ثم انى لاحظت مبالغته في الرقة والتوله .. فالتسكين كان يودعني بهذه الرقة الوداع الأخير، لأنه كان عازماً على إفراغ نفسه في جهنمه . فشدت عليه، وضيقته الحناق، حتى اعترف لي بالحقيقة بعد أن ظلت راحة على ركبتى أمامه ساعتين، أو تسلسل، وأبتهل ! فهل تدري كم فرنا كفاية الشيك الذى حرره بلا رصيد ؟ مائة ألف فرنك ! بجن جنوني يا أبى، فقلت تملك هذا البلغ، لأنني أتيت على كل ما كان بائياً لديك من ثمالة ثروتك ...

— أجل يا ابنتي، ليس من هذا البلغ، ولا طاقة لي بالحصول عليه، اللهم إلا إذا سرقت ... ولكن كنت مستعداً أن أسرقه .. وأسأركه لك إذا شئت !

وأمام هذه الصيغة التى لا تنبعت إلا عن قلب استبد به الألم، ووقف صاحبه على أبواب الجنون، وجت المرأتان، وقد تحرك قلباهما لهذا الشقاء البرح الذى أورثناه والدما العالوف .. ان كارتيهما هى التى سببت له هذا، فندت عنه هذه الصرخة التى كآتها حجر أثني به في حوة بعيدة النور، فكشف عن مبلغ دمعهما البعيد ...

وقالت له استنازى وهى تتخطف في البكاء ...

— لقد فلتت أنا هذا بدلائعك يا أبى : فقد شدت هذا البلغ بالنصرف بما ليس ملكاً لي ! فاحتضنت دلتين أختها وبكت على صدرها وهى تصيح :

— وأسفاه ! إذن كل ما قيل صحيح .. وتأثر والدما لهذا العاطف الذى جاء متأخراً فصاح بهما :

— لماذا لم تجتمع قلباً كما يا ابنتي إلا على خطب دائم ؟ .. واستعزدت الكونتس وهى تخفف دمعهما عينا :

— .. فكلى أتعذ مكسب من الفضيحة والعار، وأتعذ حياته من الانتعاز، ولكن أعوذ هنائي الملقى بشغفه، جمعت مجوهرات أسرة ريسو، التى قدما لي زوجي لأعجل بها فقط، وعلتها إلى مراب يهودى فاسى القلب، يدعى « كرويك »، و ... بنتها ! بنتها ! أعذت حياة مكسب ... ولكننى وضعت حياتي أنا تحت الخطر بدلا منها .. فقد عرف ريسو كل شيء ...

فصاح جوربو عتفاً :

— من الذى قال له .. من هو ؟ سأقله !

— .. بألمس دعاني لموافاته في حجرته، فلما ذهبت قال لي بصوت بارد كالثلج : « أين المجوهرات ؟ » فقلت له « عندي » في دولاني، فأجابني بنفس الهدوء القاتل : « كلا ! انها هناك، فوق هذا النشد ! » ونظرت فإذا هى موضوعة تحت منديل غطاها به، وقال لها : « واثت تعرفين طبعاً من أين أحضرتها الساعة : فسلطت تحت قدميه على ركبتى باكية وولفت

له أني أمته ، وأن له أن يختار لي الميتة التي يرشها ..

— أقلت له هنا حقاً يا ابني ؟ أقسم برب العزة والمجربوت أن من مس شعرة واحدة من شعر رأسك ليدفنن ثمنها حشاشة روحه ! لأنني أقضه أرباً مثل ...

واقفلت الكلمات على فم الشيخ الهائج بالنصب ، فكتت ، وقالت بنته :

— بل هو قد طلب مني ما هو أقسى من الموت وأدنى ... ولا كتب الله على امرأة في الدنيا أن تسمع مثل هذا الذي سمعت منه على كره مني

— سأقتل هذا الرجل ! سأخفه يدي ! سأقتل أوصالي ! ولكن اللوم ليست له إلا حياة واحدة ترمي . تخيت لو أن له مائة حياة لأزعمها كلها واحدة بعد واحدة !

— لقد نظر إلى برهة وهو صامت ثم قال لي : اسمي يا انتبازي ، أني مستعد أن أجر على ما حدث ذيل الصمت ، فبني معاً ، فإن لنا طفلين يحملان اسمنا . وسوف لا أقول مكسب دى ترى لأن البساروة قد تؤدى إلى قتل ، وإذا قتل هو فتبقي سلطة القانون ، وأما قتله وأنت في أحضانها فانه يطلع اسمي واسم أسرتي بالمار . فابقا عليك وعلى الطفلين وعلى أنا أعرض عليك شرطين . فهل في هذين الطفلين ولد من صلبى ؟ فقلت له : « أجل » . فسألتني : « أيهما ؟ » فأجبته : « ابنا البكر أرست » فقال : « حسناً ! ولكن أقسم أن تطيعني في أمر واحد » فأقسمت : فقال : « عليك أن توفى عقد يملك كل ما تملكين لصالحى متى طلبت إليك ذلك »

— لا توفى ! لا تقبل هذا أبداً ! ماذا إذن يا سيد دى ريتو ! ماذا نطلبنا ؟ وماذا نطلب نفسك ؟ إنك لا تعرف كيف تعد امرأة ، فإذا لشدت السعادة حيث وجدتها ذهبت تائها على مجزك . ولكنى هنا وقف عند حذك لأنى واقف لك في الطريق ! أجل يا ابني ، اهدنى يالاه فانه قد عرف الآن وريته ، ولكنى سأخطف هذا الوريث ، سأخطف ابنه ، الذى هو للأسف حفيدى ، فأخفيه في قري ، ولكن لا تخافى ! سأحافظ عليه كنور عيني ، ثم أقضه إلى ربح الرابطة البيضاء بأن أقول له : « إذا أردت استرداد ابنك ، فأعد إلى ابني جميع ممتلكاتها ودعها تحيا على هواها »

— أي الزنى !

— نعم نعم أنا أبوك العزيز ! أبوك بمعنى الكلمة ! أظن هذا النبيل أنه مطابق النصف في حياة ابني ؟ يا لسهاء ! لست أدرى ما هذا الذى يرمى في عروق كالجم ! إلى أحسن كما لو كنت قد اغتلبت نمرأ هائجاً . ولا يجب فأنا عندى الحياة كلها . ولكن ماذا عساك كتغلان حين يطوي الموت ؟ وبي ، للذا لا تظيل عمر الآباء ما طالت أعمارهم حين يحولهم بالرعاية حتى النهاية ؟ إن الآباء قلوبهم متعلقة ببيتهم فكيف سمحت رحمتك أن تدوم فيهم فيمكروه يتركهم بهم ؟ أه يا ابني ! هائجاً نخبتمان في أخيراً كما كنا في العهد الخالى قبل أن يفسد الأصهار

حياتى . ولكنى وأسفاه مدن للغلوط والنوازل بهذا الاجتماع ، فلا أحطى برؤيتكما إلا والدم يفضل وجنتيكما ! ولكن لاعليكما ، فإن قلبي كبير وينسج لآلامكما وفى استطاعته أن يجعلها عتكا . ماذا ؟ بل انكما لو حطمتا قلبي لصحنت كل قطعة متناثرة منه أن تكون قلباً أبوا يبيض بجفكما ويألم لكما

— ولكن هذا ليس كل شيء يا أبى

— أهناك شيء آخر أيضاً يا انتبازي ؟

— أجل . فاني لم أتمكن من بيع المجوهرات مائة ألف فرنك كاملة ، فأجبت الدعوى على مكسب وان لم تنظر بعد ، فلا يزال يتقصنا اثنا عشر ألف فرنك . وقد وعدنى أن يرفع عن اليسر . وأنت تعلم أنه لم يبق لي في الدنيا إلا شيء ، فلا أطيع أن أحرم منه ببدان دفعت ثمنه غالباً من راحتي وثمرتي وسميتي وأمن سري ، بل وأولادى . فاجتهد يا أبى في إغناز حريته وشرفه حتى يتسنى له أن يكون لنفسه ثروة من جديد . فلا يخرج ابنا إلى العالم مجرداً من كل درهم ، لأن ريتو سيحرمه من ميراثه كله ولأمره

— وأسفاه ، لست أملك هذا المبلغ . فلم يبق عندي شيء يساوى هذه القيمة ، فليس لي إلا ما بعدنى بدخل لا يزيد على ألف ومانى فرنك في السنة مدى الحياة

— وأين ذهب إيرادك الدائم ؟

— بته غير محفظ إلا بهذا الشيء البسيط لحاجات الضرورية فقد احتجت إلى اثني عشر

ألف فرنك لتأثيث وكر صغير لداقين

— همت . من أجل دى راستنيك اذن . يا حبة في المكينة ، اعطى بنا حدث لي ودعى

هذه التزوات

— ولكن دى راستنيك يا أخاه شاب مهذب لا يقدم على تعطيل حياة عشيته

— شكرًا لك يا دافين ، فقد كنت أتوقع في معنى أن تكوني اللطف من هذا ، ولكنك

لم تحببني قط

— وهل أنت التي تخيبيني ؟ ألم تطاردني بداسك في كل مكان وتعدي على إغلاقي جميع

الأبواب في وجهي ؟ وهل كنت أنا التي ألي إلى كل يوم لأبتر منه ألف فرنك في إثر ألف

فرنك حتى أتيت على جميع ما كان بدخره واتهيت به إلى هذه الحالة ؟ هذا عتلك يا أخاه ونقل

بذك . أنا أنا فكنت أحضر لرويته لنبر عرض ، ثم أنا لم أعلم إلا في هذه اللحظة أنه اهتق في

سبيل هذه الاثني عشر ألف فرنك . ثم ليس من عادتي إذا أعداني أي شيئاً أن أبده وأبيعه

— أنت تقولين هذا لأن عشيقك دى مارساى شاب غنى لم يكلفك شيئاً . وداعا ، فليس

لي في الدنيا أخت ولا ...

فصرخ الأب جورجو :

— اخرسى . . ماذا جرى لكما حتى تتخاصما هكذا أماًى ، أتريدان أت تقضيا على القضاء الأخير ؟ . . .

— أنى أغفر لك يا نازى ، فأنت مسكينة شقية . . لهذا لا أحسبك على جميع ماسلت منك فى حق من المكائد طيلة السنوات التسع الماضية

— يا بنتى العزيزتين ، تعافتا وتصالفا فلما كما ملك كريم . فصاحت الكونتس معرعة وهى تدفع عنها يد أيها :

— كلا . . دعنى . . أنها أقل رحمة بى من زوجى نفسه
— يا أختى أنى أفضل ألف مرة أن تتولى على بأتى مدينة لى مارسالى من أن يقال على أن عتيق دى ترى كلتى مائتى ألف فرنك كما سلفك

وهنا ابتدأ الشجار ينتقل من التواضع إلى الرغبة فى التناكس بالأيدى . فاندفع الأب جوروى بحول بينهما ، ثم أخذ الكونتس بين ذراعيه ليهدى روعها ، ووضع كفه على فمها لينهها من الاسترسال فى سب أختها ، فإذا بها تصبح به فى التمتزاز :

— ما هذا يا أبى ؟ ما هذه الرائحة العالقة بيك ؟
غجل الرجل الطيب وأخذ يستدر إليها فثالا وهو يمسح يديه فى بطلونه :
— لا تؤاخذينى ، فاكنت أعلم أنك آتية فى هذه الساعة ، وكنت منهكما فى ترتيب حوائجى . . .

وكان الرجل قد سر بحول جانب من غضب ابنته اليه . أما دلتين فرأتا هاتى أمارات الألم للبرح مرتمة على وجه شقيقتها . . ففالت لها فى إخلاص :
— سامعنى يا أختاه فقد أخطأت . . تعال قبلينى

وتعافت الفتاتان ففسرى من الرجل ما كان يحمده . وعاد الى التفكير فى مشكلة بنته الكونتس فأخذ يحذب شعر رأسه ويقول :

— آه لو كنت أعلم مكاناً أسرق منه هذا المبلغ ، ولكن حتى السرقات أصبحت عميرة فى هذه الأيام . . لم يبق إذن إلا أن أموت ، ما دمت قد بت ولا حق فى لبنى . ابنتى تحتاج الى شئ . وتطلبه منى ولا أستطيع أن أقسمه لها ؟ ما قيمة الحياة بعد هذا ما دمت لم أعد أباً صالحاً . ! !

وأخذ يثق رأسه بكتف يديه كمن به مس . فأقبلت ابنتاه عليه تمنانه . وتحاولان تهدئته ، فأنشأ يبكى . فما كان من إيجين الذى كان لا يزال واقفاً فى غرفته ينسقط الدمع إلا أن تناول أمر الصراف الذى كان فوتران قد أعماه إياه ، وصحح الرقعة فجعله اننى عشر ألف فرنك لأمر السيد جوروى . ودخل حجره الشيخ فوجه الخطاب الى الكونتس دى ريتو فثالا :

— هذا هو المال الذى تطلبينه يا سيدى . فقد كنت دائماً فأيقظنى مناقضتك الحسامة ، وعرفت منها القيمة الحقيقية للمبلغ الذى يدينى به السيد جوروى . وأنى أعد بفرق أن أدفع المبلغ ، فهو يمكن التحويل لأى مصرف

— أستطيع أن أغفر لك كل شئ . يا دلتين إلا هذا . كيف تعلمين أن السيد إيجين موجود فى الهجرة المجاورة ثم تستدجيني لك أبسط أسرارى وتفاصيل حياتى الخاصة ، والسر الذى يكتنف مولد طفلى ، والعار الذى يحجب باسمى ؟ أنى أكرهك والعنك . .

وسكنت لأن حلها كان قد جف من شدة الغضب والغيظ فأسرع الأب جوروى يتراهاها ويقول لها :

— ولكنه ابنى وأخوك ومنفذك . قبله إذن . انظرى إلى كيف أحضنته الآن وأقبله . يا ولدى العزيز : سأكون لك أكثر من أب . ولو كانت يديى السموس والكواكب لطرحتها تحت قدميك . تعال يا ابنتاى قبله فهو ليس بصرأ ، أن هو إلا ملك كريم ووقفت الكونتس ترقق فى صمت كأنها تستطلع طله . فقال لها فى أنفة وصدق :
— سيدتى . . تنى أبنى سأدفع وسأسكت

وفى هذه اللحظة صرخت دلتين ، لأن الشيخ كان قد سقط على الأرض فى شبه إغماء ، فلما حلوا أزرار قميصه ورأى لفتهم جعل يقول انه بخير . وأنه طارى ومزول وشيكا ، قتل ما هناك أن شيئاً يضط على جبهته وبسبب له دوران . ثم تم :

— هى كلمة من أجل نازى . يا لبلبت المسكينة . . فانى مشفق عليها من ذوائل المستقبل اللظم تصاناً يا بنتى . .
وصاحت ابنتاى :

— لا أستطيع أن أصفح عنها . لن أنسى لها هذا . ولكن هلا وقتت يا أبى على هذا الاذن حتى أستطيع صرف قيمته ؟

— ماذا دعان حتى نسيت ؟ ولكن اعذرينى فقد فاجأنى هذا العارض . وتبقى أبى سأذهب بأول فرصة لأقوم بما يجب نحو صيانة مصالحك من هذا الزوج العليل القلب . هاك توفيقى فاذهبى الآن وارسلى إلى خيراً أن السألة سويت . وحاولى أن تترى مكسيم جادة العقل وهيت إيجين لهذا الحنان العطر . فلما انصرفت ابنتاى أقبل على الأب جوروى فرمته الى القرائس وجعل يتلطف معه . .

— بماذا تشعر الآن ؟
— برغبة شديدة فى النعاس
ولم يلبث الشيخ أن نام وفى يده كف دلتين . فلما استغرق فى النوم سحبت يدها واستأذنت

في الانصراف ، ولكنها رغبّت أولاً في مشاهدة حجرة العيين التي سيقى فيها إيلة أخرى بعد أن حالت حالة أبيها دون الثقة الى السكن الجديد هذه الليلة

— ربه . انك أسوأ حالا من أبي السكى . ولكى نفورة : بك مع أخى ، وسأحبك من أجل هذا أكثر وأكثر .. ولكن إذا أردت أن تكون لك نزوة في يوم من الأيام فلا تبذر على هذا النحو واعلم أن مكسب مقام كبير لا يستحق السعادة ، وكان عليه أن يدبر هذا المال بوسائله الخاصة

ونعت إليهما أنه فأسرعا الى غرفة الأب جوريو ، فوجداه نائماً في ظاهر الأمر ولكن عندما اقتربا سمعا يتهم :

— لئهما ليستا سعيدتين !

فأقبلت عليه دفين تسأله عن حاله فقال :

— لا تعلق ، فبعد قليل سأنهض وأخرج . انهما أبناؤها واغتيا لذات الحياة وسحب العيين دفين الى دارها ، ولكنه رفض مشاركتها طعام المشاء متعجلاً العودة ليطبخ على صحة الشيخ المسكين ..



بداية النهاية

ولكن متاعب الأب جوريو لم تمنع العيين من موافقة دفين في الاوربا الاجتالية ، ومن الاستمتاع بالسهرة معها ، ومن العودة معها الى مسكنه الجديد حيث شربا من كأس الهوى الى أن فارقتهم دفين في الثانية صباحاً لتعود الى بيتها . وكان هو مجهداً فأثر قضاء الليل في هذا السكن ، ولم يصح من نومه إلا قرب الظهر حين وافته دفين لترشف رشقة أخرى من نبع الغرام ، وتنفدى مع حبيبها . فقد نسى الشاب في ثورة الأعصاب المتشوقة للهوى أن الشيخ جوريو يشكو منذ الأسس ، وأنه وحده وليس من رعاها ، فلم يذهب العيين لزيارته إلا بعد الرابعة مساء . فلما دخل قال له أحد الزلاء ان حالته زادت سوءاً ، وان يان شون طالب القلب ملازم له ، وان الكونتس زارته مرة أخرى فلبث مهتاجاً ثم ارتدى ملابسه وهم بالخروج فأغنى عليه ، فأسرع العيين يصعد السلم ، ولكن تاذنه مدام فوكير :

— كان من اللئق عليه أن تخليا حجرتيكما في ١٥ الجاري . وهما نحن أصبحنا في يوم ١٨ . فيجب أن تدفعا لي الشهر الجديد كاملاً . ولست أقول هذا من أجلك أنت ، فاذا ضمنت لي الأب جوريو فان كلتك تكفي

— ولماذا لم لا تفين به ؟

— أنى ؟ وإذا مات من يدفع لي الأجر ؟ إن بنيتي إن أفقر منها بدم واحد . ولم يبق لديه من المتاع ما يفي حق

— أنا الشئول عن كل شيء

وأسرع يصعد السلم وهو يرتعد رعباً ، فوجد الأب جوريو في فراشه يش والى جواره طالب القلب . وابتم الشيخ حين رآه وسأله :

— كيف حالها ؟ هل تمت بليتها ؟

— من بخير . . وكيف حالك أنت ؟

— لا بأس

فأتى يان شون بالعيين جانباً ودل له ان الشيخ لن ينجو إلا بمعجزة فلا تنعمه بكثرة الكلام . ثم ان حله مستحيل لأنه يجب أن يجنب كل مجهود جسدى أو عصبى . وقد دعوت له مدير

مستشفانا ولكنه بعد الفحص قال ان لا يمكن أن يشفى برأى فاطم قبل الفد

— بدن دعى معه قليلا واذهب أنت لتناول عشاءك

فلما خرج بيان شون سأل إيجين الأب جورجو عن سرحدو استأذى اليه في الصباح الباكر
— بالمسكينة ! لقد حررها زوجها التوحش من كل درهم منذ مصادرة الجواهرات . وكانت
قد أوصت من أجل الحفلة الزاخرة في نوب رائج ، ولكن حائكتها لم تقبل لهاها الدفع بعد
أن شاعت قصة الجواهرات . فاقطع قلبي وجمعت القضايا النافذة الى كانت باقية لى ، وكنت
أكل فيها ، فتركت وبعثها وأعطيتها فيمتها حتى تستطيع أن تسلم ثوبها وتفرج بلبسه في الحفلة ،
ثم هى متعلقة بالذهاب لتنفذ رغبة زوجها الذى يريد أن يظهر «ملا» بالجواهرات التى شاع أنها
باعتها حتى تسكت الألسنة المتفرصة . ولم تسكن القضية لوفه الألف فترك المظلمة فبعت إيرادى
هذا العام بأربعمائة فترك تدفع مقدما ، انى أستطيع أن أصوم أو أكل الحبز الفقار ، أما غنائى
المسكينة فكيف تستطيع أن تتحمل ألم الحرمان من ليلة سعيدة ؟

— كفى كلاما وأنت متعب . ثم واسترح ولا تكلم

ولما صعد بيان شون هبط إيجين ليعتصى ، ثم تناولوا معا السهر على فراش المريض ، وفي الصباح
قال بيان شون ان الحالة لم تزد سوءاً . وفي الساعة السابعة مساء جاءت تيميز وصيفة دافين
بخطاب من سيدتها هذا نصه :

« ماذا تصنع يا صديق العزيز ؟ وماذا شفاك حتى هجرت حبيبك وأنتا بعد في بداية غرامكما
الطيب ؟ لا أنسبك إلى القلب وغدر المهد ، فأت أوق الناس . ولكن لا تنس أنى أنطارك
الليلة لذهب معاً إلى حفلة مدام دى بوسيان الزاخرة . وبهذه المناسبة أعلم أن أذن زواج المراكز
داجودا وقمته الملك اليوم وقد علقت الفيكوتس ذلك في الساعة الثانية ، فلا ريب أن كل من
في باريس سيذهب إلى حفلتها الليلة ليرى ماذا هى صانعة ، كما تزدحم الجماهير في الميدان العام
لتشاهد تنفيذ حكم بالإعدام ... اليس هذا مؤلماً ؟ انى لم أكن لأذهب لولا أن هذه أول دعوة
أنتقلها منها ، ثم هى لن تقيم حفلات بعد اليوم فيها أعتقد . وهناك كذلك منع مصاحبتك الذى
لا أحب أن يفوتى . فإذا لم أجدك بجوارى بعد ساعتين فلا أطمح أنى سأعطفك هذا المجران »
فتناول إيجين قلماً وكتب اليها يقول :

« أنا الآن في انتظار حضور طبيب سيقدر هل يمكن أن يعيش والدك أم لا ، لحالته سيئة
جداً ، وسأقضى لأعمل اليك قرار الطبيب وإن كنت أخشى أن يكون بالغ السوء ، وعلى شونه
يمكن أن تقررى الذهاب إلى الحفلة الزاخرة أو الاعتذار عنها ، فإني »

وجاء الطبيب بعد الساعة الثامنة ، وكان رأيه أن المريض ميؤوس منه ، ولكن مرضه قد
يطول ، وأن حياته تتوقف على عدد النوبات ويبلغ غناها . فترك إيجين المريض بين يدي بيان
شون وذهب ليجعل إلى دافين هذه الأخبار والمائة التى كان يعثر أنها ستقضى على كل اهتمام لديها
بالمسرات الاجتماعية . وفيها هو بهم بالخروج تلبه الأب جورجو فصاح به :

— قل لها تتمتع بالحفلة والرقص كما ينبغي

وذهب إيجين وحالة الشيخ تدعى قلبه فوجد دافين متربة مشطرة ، لا ينقصها إلا ارتداء
ثوب الرقص ، فصاحت به :

— ما هذا ؟ ألم تلبس بعد ثوب السهرة ؟

— ولكن والدك ياسيدتى ...

— أى أبى أبى ! أترانى بحاجة الى أن أتانى منك دروساً فيما ينبغي على لوالدى ؟ كلا .
لا تشكلم ! لن أصعب منك شيئاً إلا بعد أن ترتدى ملابسك . فتيروز وصيفتى قد أعدت لك كل
شيء فى مكتبك الجديد ، فقد عربنى واذهب الى هناك وتعامل بها على بعل ، أما أبى فلدنا
متسع ونحن فى الطريق الى الحفلة الزاخرة للكلام عنه . إذ لإلزام سيكون شديداً ولا بد أن
نذهب فى وقت مبكر

— سيدتى ...

— اذهب قلت لك ولا تنطق بكلمة واحدة

فذهب الفتى كما أشارت عليه وعاد وهو فى أشد حالات الشغل والأسى ، حتى لقد فشل له
العالم عيطاً من الرجل اذا انزلت اليه قدم لإنسان عرق حتى الآذان ، وبدا له هذا الجود وقد
هانت في جانيه كباثر فوتران ، فى فوتران أربحية لا وجود لها عند هؤلاء المترفات من ربات
الحدود وريبات التصور . وتكشفت له حقيقة عشيقته الجميلة الرقيقة ، فعرف أنها لا تهجم من
وطء جثة أيها اذا لم يكن هناك طريق آخر الى حفلة زاخرة تيمر فيها الأنظار ... ويجب
لنفسه أنه لا يزال بعد هذا يجيبها ، بل ويكتس لها المأذير من جهلها بمخيفة حال والدها

فلما استقلا العربة الى قصر الفيكوتس دى بوسيان التفتت اليه وسأله عن أبيها وحاله :

— شر حال ياسيدتى . وبأحداً لو مررتنا الآن لعبادته

— ستعوده طبعاً ولكن بعد الحفلة ، فلا تكن متزمتا

فوجه الفتى ، فسأله :

— ما بك ؟

— إن أتيت أتيك برن فى أذن

ثم أخذ يمس عليها بطلاقة تفاصيل ما وقع لأبيها وزيارة أختها له وما سببته له من نوبة
قلبية تشك أن تودى به من أجل ثوب تبدو به فى حفلة الليلة . فدمت عينا دافين وقالت :

— لقد أبقيت ، وأخشى أن يشرح البكاء أجنائى فأبدو فى الحفلة فبيجة الشكل ، و قوم

برأى الآن أن أذهب فألزم فراش أبى

— مرحى ! هكذا أملى فيك

ولكن مصايح العربات الخمسة التي تنجى الى قصر دى بوسيان أخذت تلاحاً أمام هين دلفين ، فقالت :

— سأذهب ، ولكن بعد الحفاة

وكانت الفيكوتنس تستقبل المدعوين بكل بشاشة واثقان ، وقد أفلحت كبريائها في إخماد حزنها الوجيع ، فقدت كأنها ملكة من ملكات الزمان الخالي ، أو كأنها قرص من قرصان الرومان يلقي الوت أمام الجماهير ويسسارح الوحوش باسم الثغر . فلما رأت الفيكوتنس إيجين داخلاً رحبت به بحرارة وأخبرتة أنها بحاجة اليه ، ثم تابعت ذراعه الى أريكه يقرب رجال لوسيتي وقالت له :

— اذهب الآن الى دارالمركز ، وسيسحبك جاك الوصيف الى هناك ويعطيك خطاباً تسلمه الى الماركيز لأطلب اليه فيه أن يرد الى جميع خطاباتي وأنا واثقة أنه سيبسلها اليك جميعها . فإذا أعطاها فاصد الى حجرتي الخاصة وأرسل في طريقي

ونشرت كأنها لم تكن تنبش جراح قلبها الدامية لتستقبل صديقها الدوقة دى لانجين التي وصلت في هذه اللحظة . وذهب إيجين حيث أمرته ، فألقى الماركيز عند آل روشفيد السبائنه ، فصحب الماركيز الى قصره وسلمه صندوقاً مغطى وقال له :

— خطباتها كلها بداخل هذا الصندوق

وكان يبدو على الماركيز أنه يريد أن يقول لإيجين شيئاً ، لعله السؤال عن الفيكوتنس وعن مدى إحسانها لاصدقة ، ولكن كبريائه حالت دون ذلك ، فقال لإيجين بعد لحظة صمت :

— لا تخشها عني بشئ يا عزيزي إيجين

ثم شد على يد الفتى في تأثر وأسى . وفارقه إيجين الى قصر بوسيان فأدخله الخدم الى حجرتها الخاصة ، فألبست هي أن لحفت به فيها ، فوضعت يدها على كتفه ، ورأى الدمع في عينيها لأول مرة ، حين انتزعت منه الصندوق بيد مرتجفة فألقته به في نارالدفأة ووقفت ترقبه وهو يحترق ، وقد جف دمهها وجمدت موارف وجهها في أفة وترفع ، فالتفت قلب الفتى لهذا الذي رأى ، وزاد إحساسه بمخاطرة الحياة وما تنقبض به من آلام تنكدى بها القلوب الرقيقة السكرمة

ولم يفارق إيجين الفيكوتنس تلك الليلة حتى انصرف جميع الناس وودعها وداعاً حاراً ، لأنها قررت منذ ذلك اليوم أن تعزل المجتمع في ركن ضيق من الربف وكانت الساعة تقرب من الخامسة صباحاً حين فارقتها عزوئاً

نهاية النهاية

قضى إيجين المسافة بين قصر الفيكوتنس وخان فوكير - وهي مابلية جداً - سيراً على قدميه تحت ندى الصبح الباكر الشديد البرودة ، برودة المربع الثاني من فبراير . وقصد على أثر وصوله الى حجرة جاره الشيخ ، فإذا بيان شون طالب العطب بمن اليه أن الأمل في إيقاظ الأب جوروي قد تلاشى ، وأوى إيجين الى فراشه حزناً ، فما انقضت ساعتان حتى أيقظه طالب العطب لينوب عنه في ملاحظة المريض ، لاضطراره الى الأرواح . وعلم منه إيجين أن حالة جوروي قد ازدادت سوءاً :

— إنه لا يمشي إلا ساعات ، ولكن ليس لنا أن ندع المحاولة وبذل الجهود لاقتضاه . وهو في حاجة الى علاج كثير التكاليف ، وليس معي أنا درهم واحد ، وقد قنبت جيوب الأناب جوروي ودولابه فلم أجده لديه دافعاً ، فكيف معك أنت ؟ فقال إيجين :

— لم يبق معي إلا عشرين فرنكاً . ولكنني سأفكر فيها وأأكتب . . .

— وإذا خسرت ؟

— أطلب مالاً من صهره وبنته

— وإذا لم يملكوا ؟ اللهم الآن على كل حال ليس للمال ، ولعنا آف المريض بلديته من قدميه الى منتصف الفخذ ، في درجة الغليان ، فإذا صرح كان هناك أمل في شفائه ، وسيساعدك كريستوف في ذلك . ولا تعادله حتى أعود . وإذا طاب ماء أعطه بما في هذه الزجاجه . . . وتبته الشيخ لوجود إيجين ، ففتح عينيه وسأله بصوت متضجع :

— هل سمعتنا بليتهما ؟

فصاح بيانثون :

— إنه لا يفكر إلا في بنته . فقد قال لي الليلة الفائتة أكثر من مائة مرة : إنها قرصان الآن . . . » استأزى تلبس الآن ثوبها الجديد . . . » وكان يتأدبها باسميها ، وبوجهه اليهما كلاماً أبكائياً ، وأنا أعضي الدمع وعاد الشيخ ينتقم :

— دلفين ! إنها هنا ، أليس كذلك ؟ أنا أعلم أنها هنا

ونشبت عيناه وهو يحدق في جهة باب الحجرة ثم في جدرانها . . فقال يائشون :

— سأعطي لأوصي سيأتي بعمل الشيخ الحارة ، فهذا أوتانها . .

وبقي إيجين وحده عند قدمي الشيخ الذي يعود بنفسه . . . ومع هذا قد عرف إيجين بعد لحظات في نوبة صحوة أخرى ، فسأله إيجين عن حاله فقال :

— أحسن . . فقد بدأ الضغط الشديد على جبهتي يخف . هل رأيتماني ؟ ! إنهما مستعصران بعد قليل . . مستعصران إلى هنا متى سمعنا بمرضى . . . كم كنت أتمنى أن تكون الحجرة نظيفة حتى تلقى باستجابتها ، وأن تكون فيها ناز لتندفئة — إلى أسمع كريستوف صاعداً بنحسب لتندفئة

— نحب ؟ ومن أين لي عنه ؟ لم يعد لدى درهم واحد . . هل كان التوب الجديد جيلاً ؟ . . شكراً يا كريستوف . ولكن ليس معي شيء أدفعه اليك . . . فقال إيجين لكريستوف هما :

— سأدفع أنا كل شيء لك ولياتي . . .

وعاد الشيخ يقول للخدام :

— لقد قالت لك ابنتي إنهما فادتان يا كريستوف ، أليس كذلك ؟ ! ذهب إليهما مرة أخرى ، وقتلها لئلا تنموك ، وإلى أشتاق أن أوفيهما . وأن أراهما مرة أخيرة قبل أن أموت . قل لهما هذا ، ولكن بدون أن تغزها .

وانصرف كريستوف بإشارة من إيجين واستطرد الشيخ المريض :

— ستأتان ، فاني أعرف الناس بقلبي . لعمرى إن هذه السكينة دافعي ستحزن حزناً مبرحاً إذا ماتت . . وتأزى أيضاً . . لا أريد أن أموت حتى لا تبكيان . . ولتوث يا عزيزي إيجين معناه الخمر من من رؤيتهما . . فلا ريب في أنني سأعطي أيتها ذهبت ، إلى جنة صمرت أو إلى نار . . فالجميع الحق لدى والد بمعنى الكلمة هو حيث لا يكون بنوه . . . ولكنني قضيت سنوات التعصب والتمسك على هذا الجعيم منذ تزوجت ببناتي . . أما تعبي ، فكان في بيتنا القديم في شارع جوسين . . وإذا قدر لروحي أن أعرف بالأرض في بعض الأحيان يا عزيزي أن الأرواح تطوف ، فلا ريب عندي أنها ستعطف بذلك البيت السعيد . . وإلى لأراها الساعة كما كانت في تلك الدار ، تهبطان في الصباح فتفردان في سعي عم صابحاً إلى أبنائه . . فأخذهما بين ذراعي ، وأضعهما في حجرى ، وأقبل أداعهما ساعة طويلة ، ثم غطىهما ، وبتندى معاً وتنمى معاً . . لقد كنت في هذا الوقت أباً سعيداً . . وكانتا متحابتين . . رياه ! لماذا لم تبقيا صغيرتين ؟ . . آه ! ما أشد هذه الآلام التي تتنايان . . ولو كانتا هنا ، وكانت يداهما الصغيرتان في يدي ، لكنت أجمل وأقوى على احتمال آلام الجدبة البرحة . . فهل تعتقدان أنها ستأتان ؟ كم كنت أتمنى أن أذهب أنا بدلاً من كريستوف ، لأنه هو سرهما ، أما أنا فبالحقها ! . . ولكنك

كنت مهمما في الحفلة الراقصة بالأسيا يا إيجين ، فغرت كيف كانتا تبدوان ؟ لم تسكونا تدريان طمعا مبلغ مرضى . . يا لها من مكينتين ! إنهما لا تزالان في حاجة إلى ، وتروتهما تحوشا . . . الخاطر . . . أشفوني سريعاً ، حتى أحاسب زوجيهما الوغدتين ! أشفوني فلا بد لهما من المال ، وأنا أعرف من أين أحصل على هذا المال : سأذهب كما كنت أذهب وأنا في شرخ الفتوة إلى أوكرايا وأوديسا لاستنورد الفصح وأربع الملايين مرة أخرى من أجلهما . آه ! إن أوجاعي تثقل على إحتمال ! . . وسكت الأب جوربو لحظة كأنما يستجمع قوته لتعمل آلامه ثم تهم :

— لو كانت ههنا لما شكوت . . ولماذا كنت أشكر ؟

ثم هدأت أنفاسه برهة طويلة حتى ظنه إيجين قد نام ، فلما دخل كريستوف تركه يفضي إليه بما لديه بصوت مسدوع :

— سيدي ، لقد ذهبت أولاً إلى سيدتي الكونتس ولكن لم أستطع مقابلتها لأنها مشغولة مع زوجها بأمر ذي بال . فلما أخرجت خرج إلى السكونت بنفسه وقال لي : أتقول إن السيد يتحضر ؟ ولكن غيرما بتعليقه أن يموت . أما الكونتس فأنا في حاجة إليها في الوقت الحاضر لانعام مسألة مهمة ، فإذا أتمتها ذهبت إلى . . وكان يبدو عليه الغضب فلما همت بالمروح إذا بالكونتس تظهر فجأة وتقول لي : قل لوالدي يا كريستوف اني مشغولة بالباحثة مع زوجي ولا أستطيع ان أتركه الآن لأن الأمر يتعلق بحياة طاعل أو موتها ، ولكنني سأذهب إليه متى فرغت من تسوية هذا الموضوع . . أما البارونة فلها قصة أخرى : فقد قالت وصيغتها : لقد غادت سيدي من المرض بعد الحامسة صباحاً وهي الآن لا تزال نائمة ، وإذا أيقظتها عاقبتني . ولكنهما في استيقظت سأخبرها بسوء حال أبنائها ، وتوصلت إليها بلا جدوى ، فطلبت مقابلة البارون فقبل لي أنه خرج

فصاح واستنكح منقلاً :

— أما من واحدة منهما تحب إلى أيتها ؟ سأكتب إليهما

فقال الشيخ المريض :

— أجل ما من واحدة ! فكلنا مشغولان إما بالمشاكل أو بالأحلام . . كنت أعلم أنهما سوف لا تأتيان . ويظهر أن الإنسان لا يمكن أن يعرف حقيقة أبنائه إلا حين يعم قضاؤه . فاسمع نصيحتي يا ودي ولا تتروح ولا تفتج أولاداً لأن بذلك فتلوك لاهلته . فخرجهم إلى الدنيا فيخرجونك منها . كلا إنهما سوف لا تأتيان . ! وكنت أعلم هذا منذ عشر سنين وكنت أردد بين وبين نفسي في بعض الأحيان ولكنني لم أجد في نفسي من الشجاعة كفاً تصديقه . . . آه . . لو أني كنت فنياً ولم أنزل عن ترقوق لها ، لكنا الآن إلى جوارى نلقان

خدي ببلاتهما ، ولكنت الآن في قصر شديد جبل الحجرات . زاهر بالخدم ، تدفئ النار بغير

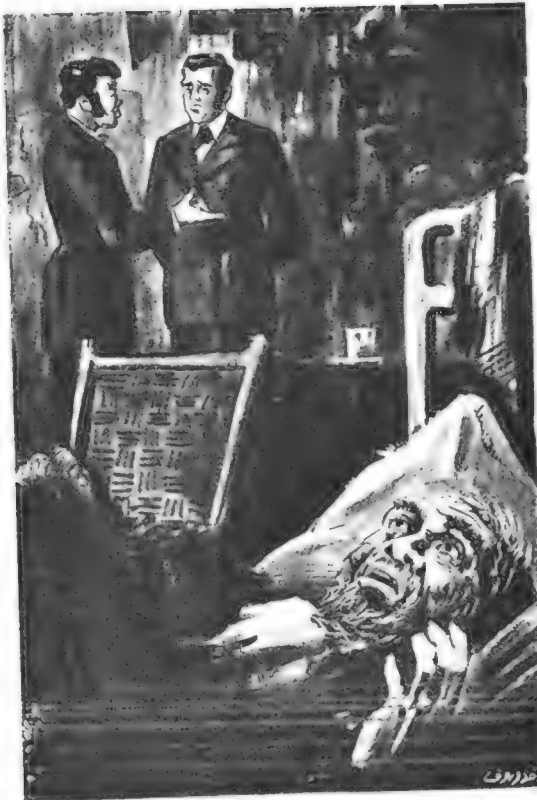
حساب ، ولسكاننا الساعة لا يرقأ لها دمع الى جوار سريري ما وزوجيما وأطفالنا . اما الآن فلا شيء من هذا كله ، لأنني بائس ، ولأنني أعطيت كل ما يمكن ان أعمل . كلا ! بل اني أفضل هذا الفقر اللذيع الذي صرت اليه ، فان الفقير اذا شعر أنه محبوب أينما ان هذا الحب خالص لثاته حقاً ؟ . كلا ! بل ليتني كنت لا أزال غنياً ، فانه لا يشق للاب ان يكون فقيراً ، فانه هو اللجام الذي يجتمع به في يده أنة بنه ! وباه . هاهنا تتوجان ماساتاني لياه عشرين سنين سويماً . يا إلهي ! انك تعلم كم فاسيت منهما وكيف شربت من يديهما كؤوس الإذلال . مترعة حتى الثالثة ، وكيف كانت شمس كل صباح تدخل في طعنة من خنجر مسموم تنفوس في سويدهما قولي بسببهما أو من يدهما ، فلماذا يا إلهي تعرضني اليوم لهذا العذاب الجديد ؟ أم يكف ما تحمته تلك الدين العنصر للتكفير عن جريمة حي إلهاماً حياً أعظم مما ينفذ ؟ ان ابني كانا ما الكبر الذي صنعت أمام الله . كانا ما موضوع خطيئتي ورذيلتي ان ابني كانا عشيقي ، كانا خري التي أدمن عليها ، واليسر الذي لا أصر عنه . وتم من مرة كنت أرى في عينيها انهما تجلجان مني ومن جهلي بأداب السلوك في دنيهما الجديدة . ولكن لم تكن تنسى بادل المدرسة من جديده . رأسي تؤلني . آه لو فطحها لي الطبيب ليكف بعض هذا الضغط عليها . بنى استأزى دقيق ! ! أريد أن أراها . أرسلوا اليهما الشرطة لتحصروا ولو بالقوة ! القضاء والقانون والطبيعة في جاس لإجابة هذا الطلب ! ان أين يتعذر الوطن والى أي هاربة يسكن المجتمع إذا كان الآباء يباسون بالأقدام كما أداس ؟ أريد أن أراها وأسمع صوتها ، مجرد صوتها ، حتى ولو كانا نندفاني بالنشام . ولكن فلماذا إذا ما حضرتنا لا تنظرنا الى نظراتهما العاترة كما تمودنا ان تفعل معي ، وان كنت انجاهل اني لا أشعر بهذا العنصر . فقد أحببتهما كثيراً بحيث ارتضيت نفسي مهانة ان أتخلى وأتوارى لأراها خلسة وما تمتازان الطريق في حقل من زبنتهما وركبهما القاره . ولكن ما أبدأ موت بنة البير ولا تخفان لرؤيتي في ساعات الأخيرة . أريد ابنتي ! أريد هها ، فأنا الذي صنعتها

وتوترت في فراشه وقد تشعث شعره الأبيض وتشجبت عيناه فهو في حالة من الهياج العصبي الحضر ، فأخذ يهده إيهين :

— ثم يا ابني فأكتب اليهما ، ومتى حضر بيان شون سأتوجه اليهما بنفسي ان لم تكونا قد جاءتا

فأخذ الشيخ المريض ينشج بالبكاء ويقول :

— ان لم تأتيا ؟ إني ان أموت دون أن أراها انش غيماً وينفطر قلبي كدا ! بل ان اللغظ والسكد ليستوليان على وجداني الساعة ، فها أنا أرى حباتي كلها في هذه العجالة كما لم أرها من قبل ، فقد انقضت عن عيني غشاوة العتلة التي زودتني بها مملكة الأبروة للفرط . ما دامنا لم تأتيا حتى الآن ، فها لن تأتيا أبداً . ولكن لا يأس من رحمة الله ، فيقول أناؤها الألفاظ



خزيرف

• أحشائي تحترق . . سموا شبتك على رأسي . . صموا فوقها يدي باني •

لى . ماذا أقول ؟ بل هذه هى دلفين . أنه أقول لك من قبل أنها هنا . أنها خير الاثنين . فأوسيت
بها يا ولدى لميجين خيراً ، أحبها ولكن لها أبا من بعد أبيها . أما الأخرى فكسيت أبس لها فى
الدنيا من رعاها . آه . لقد زاد على الوجع . انفضعوا رأسى ، فانه يؤلى ولا حاجة لى به .
حسبى أن يكون لى قلب !

فقال لميجين وقد فزع للتألم الذى طرأ على حالة الشيخ :

— يا كريستوف ، ادع يسان شون حالا وانضمر لى عربة . سأذهب يا أبى لأحضر
ابنتيك بنفسى

— عنة ! بالهوة ! خذ معك الشرطة ، وقل للحكومة وللنائب العام اننى أريد ما بأى شكل
— ولكيك كنت نلضمنا منذ لحظة

فتبت الشيخ وقال له باستنكار :

— من قال هذا ؟ أنت تعلم كم أحبهما وأعبدهما . ان مجرد رؤيتهما سوف يشغبنى مما بى .
فأذهب يا ولدى العزيز القلب على بركة الله . كم كنت أود أن أشكر على طيبة قلبك ،
واسكن لى لى ما أمتنعك إياه إلا دعوات رجل شقى يقف على أبواب الآخرة . أريد أن
أرى دلفين على الأقل لأوصيها بك . خير المعروف الذى صنعت معى . فإذا لم تأت الأخرى فهاهنا
دلفين ، فانها ان تعصاك وستأتى من أجلك . اسفونى ! أحشائى تحترق . ضموا شيئاً على رأسى .
ضموا فوقها يدى بناتى ، فان هذا هو دوائى الناجع ، رؤيه من يجمع لها ثروة من جديد إذا
مت أنا ؟ أريد أن أسقى لأسافر من أجلكم الى أودسا لاستيراد الفحم

— هدى . روعك ، فترامنا هنا بعد قليل

— رأسى . أحشائى . انى أموت . انى أباركهما .

وراح فى غيبوبة ، وفى هذه اللحظة دخل يسان شون ففحص عينيه وهز رأسه وقال :

— لا أظن أنه سيبقى من هذه الثوبة . وخير له أن يموت لكى لا يبتول عذابه . والبال !
من أين لنا المال لأعداد كل ما يلزم ؟

فأخرج لميجين ساعته وقال ليسان شون :

— أودعها رحيمته واقترض عليها . ما يملكك من المال . فانى لا أريد أن أشبه دقيقة واحدة ،
ولا بد أن أجدها ما لا أدقم منه أجر العربة عند عودتى من لندن هاتين البنتين الجاهلتين



— إني مريضة يا صديقي فقد أصابني برد عندي خروجي من الرقص وما أنذا في العذاب
الطيب

— حتى لو كنت في الزرع الأخير لما جاز لي . أن يموتك عن الذهاب إلى أليك . ولو أنك
سمعت صرخة واحدة من صرخاته التي سمعتها لما احتججت الآن بالمرض

— لا أعتقد أن حالة أبي سيئة إلى هذا الحد ، فإني يقتله حقا أن يعلم أنني جازفت
بتعريض نفسي للمرض بذعابي إليه . وسأذهب بمجرد انصراف الطبيب . ولكن أين الساعة ؟
هل بينها ؟

قال على سريرها وحس في أذنها :

— أعطني إذن أن والدك لا يملك ثمن الثابوت الذي لا بد من تجهيزه له الليلة ، فزمنت
ساعتك لأني خال الوفاة

فقفزت المريضة من سريرها وأسرت إلى درج أعطته منه كيس تقودها ، ودقت الجرس
لوصيفتها وهي تصبح :

— إني آتية معك يا إيجين ، فأجلس بسرعة . اذهب أنت وسأعمل أنا قبلك . يا تيريز
أخبري ألبارون أنني أريد أن أكله الآن في أمر هام

وخفت الفتى إلى الحان مقبلا باليمنى التي يعملها لشيخ المسكين ، فلما وصل إلى هناك فتح
كيس البارونة الغنية البارزة في الهيئة الاجتماعية ليدفع أجر العربة ، فذا كل ما فيه
سبعون فرنكا

ولقي الطبيب والجراح الذي قام بقصد المريض خارجين ، فابتدعه بيان شون قائلا :

— نتجح يا عزيزي إيجين ، فنعن في نهاية النهاية ، ويلزمنا الآن أن نغير أغلبية القرائش
التي تلوث بالدم وادع سياني لتساعدنا في هذا

فلما أخبر إيجين مدام فوكير بالملطوب قالت له :

— يا عزيزي السيد إيجين أنت تعلم أن الأب جوروي لم يعد يملك شيئا ، فالأغلبية النظيفه
سأخسر عنها ولا عالة ، فضلا عن الأغلبية الأخرى التي سنلزم للثابوت ، ثم أنت مدني حتى
الآن بمائة وأربعة وأربعين فرنكا . زد عليها أربعين فرنكا للأغلبية وغيرها مثل الشمعة التي
ستنطفئ إذا سبنا ، فكون الجميع نغوا من مائتي فرنك لا تستطيع أرملة مسكينة مثل أن
تتعلمها ، فضع نفسك في موتى واعتزني ، فإن وفاة انسان في مثل أمر يصرف عنه الناس ،
وهذا الحان هو كل حياتي

فأسرع إيجين يصمد السلم دون أن ينطق بكلمة :

— بيان شون .. أين تقودهم الساعة ؟

أقصى من الصخر

ما وصل إيجين إلى قصر ريسو وطلب مقابلة الكونتس حتى قيل له إنها مكتفة ، فقال لاوسيف :

— ولكي حاضر من قبل أيها الذي يموت في هذه اللحظة

— ولكن أوامر الكونت يا سيدي مشددة

— إذا كان الكونت هنا فاني أريد أن أقابله

وبعد برهة طويلة فاده الوصيف إلى صالون وجد فيه الكونت واقفا أمام مدفأة ليس فيها
نار ، فقال له :

— يا سيدي الكونت إن والد الكونتس في الزرع الأخير في هذه اللحظة ، وحالته مؤلمة ،
فليس لديه فلس واحد يتفقه في التدفئة أو العلاج وهو يطلب أن يرى ابنته قبل أن يموت
فأجابها الكونت ببرود :

— أشك لاحظت أنني لا أكن السيد جوروي حبا شديدا ، لأنه أفند على ابنته وصيب
لي شقاء مقيا . فوته وحياته لدى سواء ، فعندي الآن أمور أولي بأعني . أما الكونتس
فألتها لا تسمح لها بالخروج . ثم لا أوافق على مغادرتها البيت . فقل لأبيها أنها لن تذهب
لرؤيته إلا بعد أن تني بواجبها نحوى ونحو ابني ، وذا كانت تحب أبها حقا في استطاعتها أن
تحصل على حريتها في لحظة واحدة

— أنت مطاع السلطان على زوجتك يا سيدي الكونت . ولكي ألقأ إلى أريميكت .
فهل تتدنى بأبلاها أن أبها لم تنق له في الحياة إلا سويبعات ، وأنه قد صب لعنة عليها لتتلفها
عن سرير موته ؟

— قل لها أنت هذا الكلام بنفسك

وفاده إلى صالون آخر فوجدها غارقة في الدموع حتى لقد تحركت شفقت عليها . وألقت على
زوجها نظرة ووجل ورعب فأومأ الكونت برأسه مرخصا لها في الكلام فقالت :

— لقد سمعت كل شيء يا سيدي ، فقل لوالدي إنه لو عرف حقيقة ظروفي لفقر لي ،
ولكن العذاب الذي يصيب على أقوى من أحوال

فانصرف إيجين مبهوتا وقد أدرك أن الكونت يعذبها عذابا جمائيا ، ومضى من توه إلى
دلقين فوجدما في فراشها

— هاهى فوق النشد ، وقد بنى منها هجو ثلاثمائة وستون فرسكا بعد أن سددت جميع الترامانتا فى الصيدلية وغيرها

وهبط إيجين كالبرق الحالمف وقال للأرملة :

— هالك ياسيدنى ! خذى حسابك كاملا ، واطمنى ، فالأب جورويو لى بطليل البقاء عندك

— ياسيلى .. اخرجى الأغطية واذهبي

ثم همست فى أذن إيجين :

— لانتس سيانى ، فاتها ظلت ساهرة منذ ليلتين

وحل الشبان الأب جورويو ليرفاه فوق الفراش ، كل منهما من جهة حتى تستطيع سيانى تغيير الأغطية ، وكانا راكعين لتسهيل العملية ، فأتخذ الرجل الحظفر الذى ضعف بصره وغشاه الدمع ، قد يديه فوجد فى كل ناحية من ناحيتي الفراش رأساً ، ف جذب شعرها ثم غنم فى ضعف شديد :

— يا ملاكى العزيزين ! ها أنا .

وكان الجدل ظاهراً فى كلانته الأخيرة التى فسد بعدها الوعى ، فقد حسبها ابنتيه . وقال بيان شون :

— هذه هى النهاية ، فسيظل هكذا بعض الوقت ثم يموت دون أن ينتبه إلى ذلك أحد ، لأن جهازه العصبى قد تعطل ، ولن يمس شيئاً ، ولن يشأ أو يتأوه وفى هذه اللحظة سمعت على الدرج خطوات امرأة شابة تصعد لاهثة . فقال إيجين :

— لقد وصلت متأخرة

ولسكتها لم تكن دلفين ، بل تيريز وصقتها التى قالت :

— لقد نشبت مناقشة حامية الوطيس بين البارونة والبارون من أجل المال الذى طلبته لأبيها فأغنى عليها وحضر الطبيب ..

— كنى ياتيريز . لم يعد لحضورها جدوى ، فقد فقد الأب جورويو وعيه نهائياً

وفىها كانت سيلفى خارجة كادت تصطدم عند الباب بالكونتس التى دخلت فى هيئة مروعة وأخذت تبكى حين رأت والدها ساكن الأوصال فى رقدته الأخيرة فتناولت يده وجعلت تقلبها وتقول :

— اغفرلى يا أبى فانى لم أستطع الافلات إلا الآن بعد أن أذعنت . أبى ، كنت تقول إن صوتي خليق أن يخرجك من فبرك ويقيمك من الأموات فما أنذا أدعوك . لم يعد لي سواك قلب يعنى وهمي فى هذا العالم حتى ملأى سيكرهاني بما جرته عليها . خذنى معك يا أبى ، فقد تمت لي النعاسة ! حتى مكسيم دى ترى الذى كنت أطنه مخلصاً لي قد هاجر تاركاً وراءه ديوتا طائفة ، وتأكد لي أيضاً أنه كان يخوننى . وثرقتى حملنى زوجى على التخلي عنها . فإذا

بقى لي ؟ إن قلبك وحده هو القلب الذى كان يتطوى لي على حب صادق ولكنني جعدهته وتكرت له

وأنهت إيجين أنها تريد أن تخلو إلى أبيها فنزل ليتناول شيئاً من الطعام . وبعد لحظات قليلة سمع من أعلى صوت الكونتس تصرخ :

— مات أبى

وأصرع بيان شون بفجعه ، ثم هبط ليقول لساثر التزلاء :

— لأنه مات فعلاً

وحينئذ قالت مدام فوكير :

— إلى الطعام أبيها السادة فقد كاد الحساء أن يبرد



« مدفونا على نفقة اثنين من الطلبة »

ولكن إيجين لم ينفذ هذا الرأي إلا بعد أن توجه إلى القصرين ، فوجد الأبواب هنا وهناك موصدة في وجهه وقال له هذا الباب وذاك عبارة واحدة لم تختلف في مؤداهما

— سيداي لا يقابلان اليوم أحداً ، فقد مات أبوما ، وما عليه غارقان في أحزان أليمة ! وكان إيجين قد عرف بما خبره من المجتمع الباريسي أن الالاح لا طائل تحته . وحز في نفسه ألا يستطيع الوصول إلى الدفين ، فكتب لها رقعة وهو في جيرة الباب قال فيها :

« ييس حلية من حليك حتى يحظى أبوك بنقطة لائحة إلى مشواه الأخير »

وأقلل الظروف وربما الباب أن يسلمه لتيزر الوصفة كي توصله إلى سيدتها ، ولكن الباب سلمه إلى البارون الذي ألقاه في نار الدفء دون أن يفقه



وسار اللوكب المتواضع إلى كنيسة قريبة ، لا يتبعه إلا إيجين والخدام كريستوف . فهذا الخادم كان هو الشخص الوحيد الذي شعر بدافع لتوديع الشيخ المسكين ، فقد إيجين على يده شاكرًا دون أن يستطيع التعلق بكلمة واحدة

وأخيراً حضر كاهنان وشماس وعريف وتلوا أقصى ما يمكن من صلاة لم يتجاوز ما دفع فيها سبعين فرنكاً . ثم تلوا مزموراً وبعض التراتيل . واستغرق هذا كله عشرين دقيقة . ولما انتهت الصلاة وبدأ سير الجنازة من الكنيسة إلى المدافن قال القسيس :

— ليس هناك مشيوعين ، في استطاعتنا إذن أن نحضر بسرعة حتى لا تتأخر ، فالساعة الآن منتصف السادسة

ولكن في اللحظة التي بدأ فيها تحرك العربة الجنازية ، شوهدت عربتان فارغتان فارغتان على أحدهما شعار الكونت دي ريتو ، وعلى الأخرى شعار البارون دي تونسينج . وتبعتهما العربتان النمش إلى مقابر بيرلا شين

وفي الساعة السادسة وورى الأب جورويو التراب ، وقد أحاط بقبوره خدم بنيتي الذين اختفوا باخفاء رجال الدين بمجرد تلاوة الصلاة الأخيرة على القبرة

وبعد أن أفعال اللعائدان بعض حفنات من التراب وقف أحدهما إلى الحفرة ومد يده إلى إيجين يطلب أجره . ففتش إيجين جيوبه فلم يجد فلساً واحداً فاضطر إلى اقتراض عشرين سنتياً من الخادم كريستوف . وكان هذا على بساطته عاملاً على زياده وطأة الكآبة على نفس الشاب . وكان الجو رطباً قتيلاً على الأعصاب . فتنظر إلى الحفرة وذرف دمعته الأخيرة ثم عقد ذراعيه فوق صدره ووقف يرقب السحب الداكنة ، فلما رآه كريستوف على هذه الصورة تركه وانصرف

الدرس الأخير

مات جورويو . وأقبل الزلاء على الطعام قبل أن يبرد الحساء ، فلما انتهى الطعام قام إيجين وبيان شون لاعداد الواجبات الأخيرة لهذا الرجل المسكين الذي مات متبوءاً من ماض حياته كلها من أجلهم . وكان أمام الشابين أن يقدما في كل شيء حتى يكني مامهما من مال قليل لأنعام مواراته التراب

توجها أول كل شيء لالتباس قبضيس يقبل الصلاة على جثمان الميت أثناء الليل . وفي الساعة التاسعة مساءً أو نحوها سجد الجثمان بين شحنتين موقدتين في تلك الغرفة العارية ، وجلس إلى جوانبه القسيس

وقبل أن ينام إيجين سأل رجل الدين عن أتعاب الصلاة ومراسم الجنازة ، ثم كتب كلمة إلى كل من البارون دي تونسينج والكونت دي ريتو يرجوهم أن يرسلوا من ينوب عنهم في القيام بمصروفات الدفن . وأرسل كريستوف بالرقعتين ثم أوى إلى فراشه فنام نوما عميقاً لعدة ما كان يحسه من التعب

وفي الصباح ذهب الشابان - إيجين وبيان شون - لإعلان الوفاة لدى السلطات واستخراج التصريح بالدفن . ومضت بعد ذلك ساعات وليس من خبر من قبل البارون أو الكونت ، فاضطر إيجين إلى دفع أتعاب القسيس

وطلبت سياتي الطباخة البدينة عشر فرنكات أجراً لها على خياطة الكفن . فتشاور الشابان وقررا بعد الحساب والمراجمه أنه ليس في طاقتهم أن يقوموا وحدهما بجميع التكاليف ، فنتطوع طالب الطب بيان شون بوضع الميت في تابوته بنفسه دون معاونة سياتي ، وأحضر التابوت مما يصرف للقراءة في المستشفى الذي يعمل فيه للفران ، وبهذا لم يكنه التابوت إلا مبلغاً يسيراً جداً ثم قال بيان شون لإيجين في سخريته المبهودة :

— امض إلى جبانة « بيرلاشين » واشتر حوشاً بشن مؤجل يعمل بعد خمس سنين ، ثم أوس في الكنيسة على صلاة جناز من الدرجة الثالثة . وإذا رفض الصهران والبنتان أن يقدما التكاليف ، فاهش على قبر للرحوم هذه العبارة

« هنا يرقد السيد جورويو »

« والد البارونة دي تونسينج والكونتس دي ريتو »

فلما أتى إيجين نفسه وحيداً سعد إلى قمة القبرة وألقى نظرة على باريس النائمة على ضفتي الدين ،
وقد بدأت الأنوار الأولى تنبع فيها هنا وهناك . وكانت نظرة طالحة بالأزدراء والتجدي
وأول ما فكر فيه من أعمال الزرابة والتجدي لهذا المجتمع الراقى ، انه يتم من توه إلى
حيث يتناول العشاء على أفراد مع البارونة دى نوسنجن

الرواية القادسة

مغامرات مستر بيكويك

تصدر في ١٥ يناير ١٩٥٣



هذه نياير القاصم

سنة في خدمة الثقافة

التمن ٥ فرويس
عدد ممتاز